الدكتور رشيد الناضوري
M. A., PH. D. (شيكاجو)

دراسات فى بعض معالم تاريخ وحضـــارة منطقة الشرق الأدنى القديم

وخاصـــة فى مصر وبلاد الرافدين والأقليم الســـورى والهضبة الأيرانيـــة

ابتداء من مرحلة الثورة الصناعية الاولى حتى نهاية الدولة البابلية الكلدانية

نوفمبر ١٩٥٨

اهداءات ٢٠٠٠
ا د رشيد سالم الناضوري
استاذ التاريخ القديم
جامعة الاسكندرية

الدكتور رشيد الناضوري
M. A., PH. D. (شيكاجو)

دراسات فى بعض معالم تاريخ وحضـــارة منطقة الشرق الأدنى القديم

وخاصـــة فى مصر وبلاد الرافدين والأقليم الســـورى والهضبة الأيرانيـــة

ابتداء من مرحلة الثورة الصناعية الاولى حتى نهاية الدولة البابلية الكلدانية

نوفمبر ١٩٥٨

موضوعات الكتاب

تقديم عام

١ـ دراسة حضارات عصور ما قبل التاريخ ابتداء من مرحلة الثورة الصناعيه الأولى حتى بداية العصر التاريخى فى كل من مصر وبلاد الرافدين والاقليم السورى وايران •

٢ـ بعض الظواهر المميزه لمرحلة الانتقال من عصور ما قبل الاسرات الى العصر التاريخى فى كل من مصر والعراق القديم والاقليم السورى وايران •

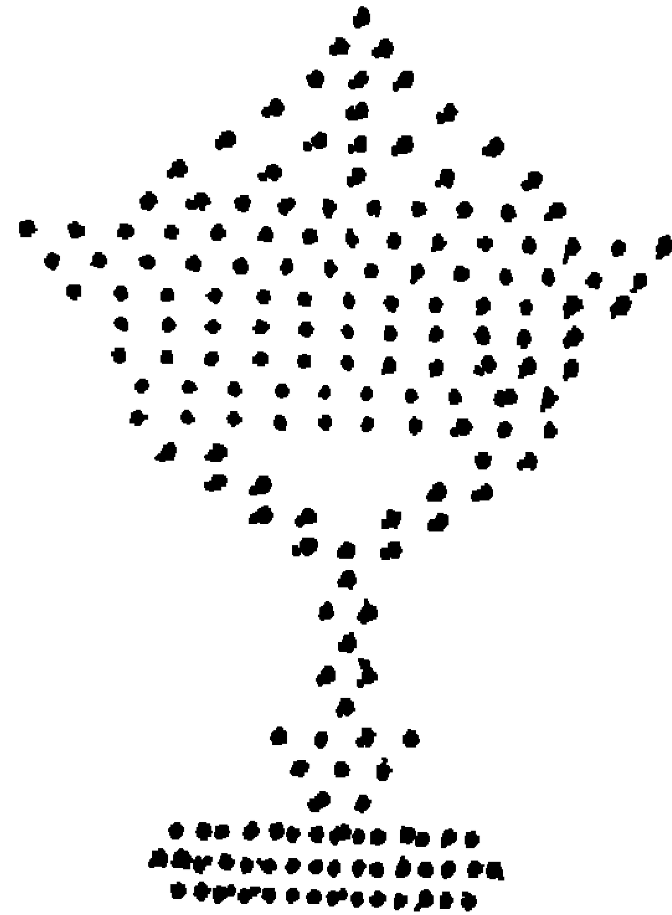
٣ـ الشرق الادنى القديم فى الالف الثالث ق • م • وخاصة فى بلاد الرافدين •

٤ ـ الشرق الادنى القديم فى الالف الثانى ق • م • وخاصة فى بلاد الرافدين •

٥ـ الشرق الادنى القديم فى الالف الاول ق • م • وخاصة فى بلاد الرافدين •

٦ـ دراسة لمعالم تاريخ الاقليم السورى من النواحى الاقتصاديه والبشريه والسياسيه •

خاتمة



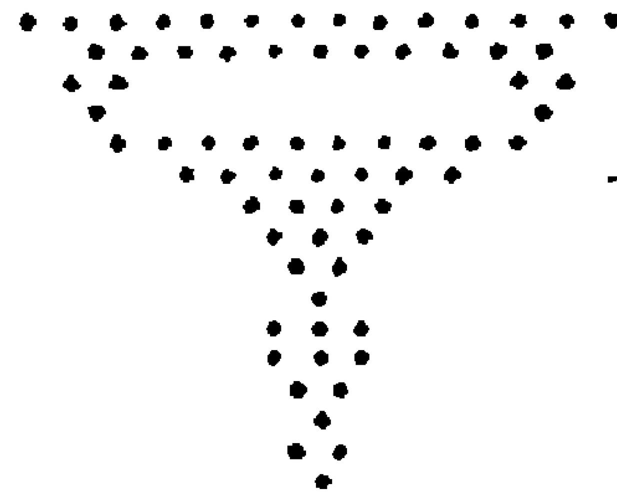
بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم عام :

تتجه الدراسات الحديثة في علوم الآثار والانثروبولوجيا والتاريخ القديم الى زيادة الاهتمام بمنطقة الشرق الادنى القديم وهي المنطقة التي تمتد من نهر السند شرقا الى بحر ايجه غربا ومن جبال القوقاز شمالا الى السودان جنوبا ، وذلك على أساس اعتبار هذه المنطقة من أولى المناطق في العالم التي كان لها دورها الهام في تقديم عدد أساسي من نواحي الانتاج العقلي والمادى بصورة متقدمة أضافت الى التطورات التي مر بها الانسان مما مهد الى الانتقال الى العصر الكلاسيكي وبالتالي الى العصور الوسطى فالعصر الحديث . وقد قام العلماء بدراسة هذه النواحي التي ساعدت في هذا التطور وقد استقر الرأى بينهم الآن على أن الشرق الأدنى القديم هو المنطقة الواجب تتبع المراحل الاولى لتطور الانسان فيها ولذا اتجهت أبحاثهم المقارنة الى هذه المنطقة محاولين التعرف على الاصول الاولى للتفكير الانساني وتطوره فيها . هذا وقد اعترف العلماء بأسبقية هذه المنطقة على حضارات الشرق الاقصى والامريكتين وكذا اليونان والرومان في مجال التطور الحضارى . وقد بدأ العلماء بإرسال البعثات الاثرية للتنقيب عن هذه الاصول الاولى للمدنية . وفي بداية الامركان الاتجاه الى اعتبار كل جزء من هذه المنطقة مستقلا تقريبا عن الآخر من النواحي الحضارية ، ولكن البحث والدراسة دلت على اتصال اجزاء هذه المنطقة اتصالا قويا في عصورها المختلفة وفي النواحي السياسية والحضارية والاقتصادية . ولذلك اتجهت الدراسة الحديثة الى عمل نوع من الدراسة المقارنة لنتائج الابحاث التي يخرج بها العلماء بعد دراسة كل جزء من منطقة الشرق الادنى القديم . وليس معنى هذه الدراسة المقارنة الاقلال بأية حال من الاحوال من الكيان المحلى الخاص بكل جزء في هذه المنطقة ، ولكن هذه الدراسة المقارنة تقوم على تتبع الصلات بين مختلف أجزاء هذه المنطقة ومدى قوة وضعف هذه الصلات . ويلاحظ الدارس في تاريخ مصر الفرعونية على سبيل المثال انه على الرغم من احتفاظ هذه المدنية المصرية بالطابع المصرى الخالص الا انها قدمت في بعض عصورها بفترات زاد فيها الاتصال بينها وبين دول غربى آسيا . ويمكن القول أيضا أنه فيما يتعلق بتاريخ سوريا وفلسطين أن هذا التاريخ مرتبط كل الارتباط بتاريخ القوى المحيطة بهذه المنطقة كمصر ودولة حاتى في الاناضول وكذلك بطبيعة الحال دول البابليين والآشوريين والكلدانيين والفرس والحقيقة أن أجزاء هذه المنطقة متصل بعضها بالبعض الآخر في كافة النواحي الجغرافية والاقتصادية والتاريخية في العصور القديمة والوسيطة والحديثة والمعاصرة .

وبناء على ذلك اتجه ذهن الكاتب الى تقديم نوع من هذه الدراسات المقارنة بخاصة بين مصر من ناحية والعراق القديم (ميزوبوتاميا) من ناحية أخرى ، وأيضا الاقليم

السورى والهضبة الايرانية . ويتجه المؤرخون الآن فى دراسة التاريخ القديم بوجه عام الــى مراكز هذه الدراسة فى مناطق الشرق الادنى والشرق الاقصى والامريكتين وأوربا . وقد وصلت نتائج هذه الدراسات الى الاعتراف بأولوية منطقة الشرق الأدنى القديم على جميع مناطق العالم فى القفز بالعالم الانسانى الى مراحل التطور والتقدم الحضارى ابتداء من عصر انتاج الطعــام (العصر الحجرى الحديث) وذلك حوالى الألف السادس ق.م . ونظرا لكثرة الموضوعــات التاريخية والاثرية والحضارية المتصلة بدول الشرق الادنى القديم يقتصر الكاتب على بعــض الموضوعات الاساسية ذات الصبغة السياسية من ناحية والطابع الحضارى والاثرى من ناحيــة أخرى . ويبدأ الكاتب هذه الموضوعات بموضوع دراسة عصور حضارات ماقبل وقبيل الاسرات فــى كل من مصر وميزوبوتاميا ويتضمن ذلك دراسة الاصول الاولى فى الانتقال بالمجتمع الانســانى الى مرحلة الزراعة والتصنيع ، وأيضا تتبع أسباب ونتائج توصله فى كل من مصر والعراق القديم والاقليم السورى والهضبة الايرانية الى هذه النتيجة .



دراسة عصور حضارات ماقبل التاريخ وماقبل
وقبيل (١) الاسرات فى كل من مصر وميزوبوتـــــاميا (٢)

بعض حقائق أســاسية فى هذا الموضوع :

يتجه العلماء الى تقدير عمر الانسان بحوالى نصف مليون سنة على الاقل (٣) ، وعلى ذلك يمكن القول بأن أكثر من ٩٩٪ من حياة الانسان هى حياته فى عصور ماقبل التاريخ (٤). ولم يترك الانسان فى عصور ماقبل التاريخ أى أثر كتابى يعبر فيه عن حياته بمختلف مظاهرها بل ترك أدلة أثرية تدل على مدى تطور تقاليده الصناعية وطرق معيشته فى ذلك الوقت . ويقوم بالبحث فى عصور ماقبل التاريخ الجيولوجيون والانثروبولوجيون والاثريون وكذلك علماء الجو القديم والنبات القديم وغيرهم . ويتجه بحث العلماء فى تتبع حياة الانسان فى مختلف نواحيها فى هذه العصور تتبعا علميا ، الى دراسة البقايا الاثرية التى تركها الانسان فى مختلف جهات العالم .

ويقوم العلماء بدراسة الطبقات المختلفة Layers فى التلال والاكوام والكهوف التى يسكنها الانسان . وقد تكونت طبقات هذه التلال كنتيجة طبيعية لسكنى الانسان فى منطقة ما ثم هجرته منها ، ربما لأسباب اقتصادية أو بيئية أو سياسية ثم سكنى مجموعة بشرية أخرى لنفس هذا المكان بعد ذلك ثم تركها له ومجئ مجموعة بشرية ثالثة مما أدى الى تكون

---

(١) يتضمن عصر ماقبيل الاسرات Protodynastic الفترة الواقعة قرب نهاية عصور ماقبل الاسرات (عصر حضارة جرزه الاخير فى مصر) وعصر الاسرتين الاولى والثانية فى مصر الفرعونيـــة .

(٢) يقوم بحث العلماء الآن فى كافة المعاهد العلمية الى عمل دراسات مقارنة لمختلف الحضارات والمدنيات محاولين الوصول بهذه الدراسات الى معرفة الاصول الاولى Origins لتطور مختلف نواحى الانتاج المادى والمعنوى للانسان فى حضارات العالم وخاصة فى مناطق الشرقين الادنى والاقصى وكذلك فى حضارات الهنود الحمر فى الامريكتين . وعلى الرغم من تعمق العلماء فى هذه الدراسات المقارنة فى عصور حضارات ماقبل الاسرات فان النتائج التى وصلت اليها هذه الدراسات لاتزال مجال البحث وفى حاجة الى تدعيم أقوى بالادلة الاثرية القاطعة وخاصة فى موضوع الاصول الاولى لهذه الحضارات وكذلك فى موضوع مدى قوة التأثير الحضارى بين مختلف مراكز تلك الحضارات . وقد تعرض الكاتب الى بعض المشاكل المتصلة بهذا الموضوع فى هذا الفصـــل .

(٣) R.J. Braidwood, Prehistoric Men (Chicago, 1948), P.7.
وقد مر الانسان بمراحل التطور فى عصر البليستوسين أو عصر الهجمات الجليدية واقترب حوالى منتصف هذا العصر الذى يرجعه العلماء الى حوالى مليون سنة ، اقترب من مرحلة الانسان العاقل
M. Jacobs and B. J. Stern, Outline of Anthropology (NewYork, 1947), P, 16.
R. Turner, The Great Cultural Traditions (New York & London, 1941), Vol. 1, P 10.

(٤) Braidwood, op. cit.
هذا على أساس أن العصر التاريخى قد بدأ فى منطقة الشرق الأدنى القديم بتوصل كل من

طبقات تمثل آثار سكنى واقامة هذه المجموعات البشرية على التوالي . وتجمع هذه الآثار بعضها فوق بعض أدى الى تكوين التل أو الكوم (١) .

ويقوم العلماء ببحث الادلة الاثرية المختلفة التي يعثر عليها الاثريون في هذه الطبقات في مختلف المواقع الاثرية . ويتطلب بحث هذه الادلة دراسة الموضع او المكان الذي وجد فيه هذا الاثر. ويحاول الاثرى أن يستدل من هذه الدراسة على حياة الانسان الذي صنع هذا الاثر من حيث كونه كان قاطنا في هذا المكان سواء أكان ذلك المكان قرية أو كهفا أو غير ذلك. ويؤخذ في الاعتبار في هذه الدراسة احتمال عدم صناعة هذه الآثار في نفس هذا المكان (محليا) فهناك احتمال استيرادها من الخارج . كما أن دراسة العلاقة بين الآثار بعضها ببعض في نفس المكان تساعد الباحث على التعرف بصورة أوضح على حياة هذا الانسان. ومن العوامل الهامة في دراسة هذه الادلة الاثرية محاولة التوصل الى معرفة التقدير الزمني النسبي Relative Chronology أي الوقت الذي صنعت واستخدمت فيه هذه الآثار. ويمكن التوصل الى ذلك بواسطة عدة طرق علمية . وتجدر الاشارة هنا الى صعوبة البحث في المسائل التقويمية وخاصة في عصور ماقبل التاريخ . والطريقة المتبعة هي طريقة تقويم الآثار بالمقارنة على أساس تطورها من حيث النوع والصناعة مسلسلة من الاقدم الى الاحدث . وقد اتبع الاستاذ ف. بترى W. M. Petrie الطريقة المعروفة باسم طريقة التوقيت المتتابع Sequence dating في تأريخ عصور حضارات ماقبل الاسرات في مصر. وهناك من الطرق الحديثة التي يحاول بعض العلماء استخدامها في التعرف على تقدير زمن بعض الآثار ، طريقة كربون ١٤ Carbon 14 وتتلخص هذه

تابع ماقبله رقم (٤) ؛
المصريين والسومريين الى تسجيل حوادثهم التاريخية حوالي ٣٠٠٠ ق . م . ولا يزال التحديد الزمني لبداية العصر التاريخي بصورة نهائية في كل من مصر وميزوبوتاميا مجال البحث. وقد اصطلح على أن توصل الانسان الى مرحلة التعبير بالكتابة هي احدى وسائل التعرف ، على أن حضارة هذا الانسان قد دخلت في نطاق العصر التاريخي . ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أن عدم توصل بعض الحضارات الى مرحلة الكتابة أو في الحقيقة تأخرها نسبيا في التوصل الى الكتابة ليس معناه عدم وصول هذه الحضارات الى مرحلة المدنية بل يمكن اعتبارها قد وصلت الى هذه المرحلة على اساس تمكن مجتمعها من انتاج الطعام ومن انشاء القرى المستقرة وما تتضمنه هذه المرحلة الاخيرة من نواحي الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي المعتبر من الاسس الاولى لتوصل المجتمع الى مرحلة المدنية .

(١) وهناك عدة تسميات للتل في الشرق الادنى القديم منها كلمة كوم Kom ، وكلمة تبة Tepe وكلمة Huyuk

R.J. Braidwood, "A synoptic Discription of the Earliest Village - Culture Materials form the Aegean to the Idus," in Human Origins, and Introductory General Course in Anthropology, 2nd, Ed. 1936, 183, n. 2.

الطريقة فى تقدير كمية الكربون المتخلف فى بعض المواد العضوية بعد تحللها بمرور الزمن ، ويساعد قياس هذه الكمية على تقدير الكمية الاصلية فى هذه المواد العضوية . وبالتالى يمكن تقدير عمر الآثار المحتوية على هذه المواد العضوية(١).

ويجدر بالباحث عند دراسة الادلة الاثرية ملاحظة الكميات المختلفة التى يعثر عليها فيما يتعلق بنوع معين من هذه الآثار . هذا مع العلم باحتمال ملاحظة أهمية الكمية فى بعض الحالات ، وعدم أهميتها فى حالات أخرى .

وتقسم الآثار اما حسب المادة المصنوعة منها أو حسب فن وتطور صناعتها Technique أو حسب طرق استعمالها أو حسب أشكالها والرسومات والزخارف التى تتحلى بها . ويلاحظ العلماء مختلف التقاليد الصناعية المتبعة فى صناعات الاوانى الفخارية والحجرية والادوات العظمية والخشبية والمعدنية فى مختلف المواقع ، مما يساعد على التفسير الصحيح لوظائف هذه الادلة الاثرية وبالتالى التعرف على المستوى المادى والفكرى الذى وصل اليه الانسان صانع هذه الآثار(٢). ومن دراسة مختلف الادلة الاثرية يمكن معرفة تطور النشاط الانسانى فى الطبقة الحضارية أو فى الموقع الذى وجدت فيه هذه الآثار، وذلك لان المجموعة التى تتكون من هذه الادلة الاثرية تبين مختلف نواحى هذا التطور .

ودراسة المجموعات الاثرية دراسة مقارنة تصل بالباحث الى معرفة الدور الحضارى الذى قام به الانسان فى مختلف هذه المواقع الاثرية ويحسن الاشارة هنا الى ماهية الحضارة Culture والفروق بينها وبين المدنية Civilization . وقد اختلف العلماء فى تعريف الحضارة كل على حسب وجهة نظره التاريخية أو الاجتماعية أو الانثروبولوجية(٣).

ويمكن تلخيص مدلول الحضارة بوجه عام بأنها تمثل مجموعة النشاط الانسانى المادى والفكرى فى مجتمع ما . وقد سجل الاستاذ ردفيلد Prof. R. Redfield استاذ

---

(١) W.F, Libby, Radiocarbon D[illegible] Chicago, 1952.

(٢) R. J. Braidwood, "Terminology in Prehistory," In Human Origins" an Introductory General Course in Anthropology 2 end ed, 1946 PP. 127 - 144.

(٣) وتختص الدراسة الانثروبولوجية بتتبع موضوعات تطور حياة الانسان وسلوكه ومجتمعاته من النواحى الطبيعية والاجتماعية ، والثقافية منذ ظهوره على الارض .

الانثروبولوجيا الثقافية بجامعة شيكاغو تعريف الحضارة بالقول بأنها مجموعة منظمة من طـــرق وتقاليد الحياة التى تعود الناس على تفهمها .[1] فالحضارة اذا عبارة عن مجموعة التقاليـــد والعادات التى تعود الانسان فى مجتمع ما على استخدامها سواء أكانت هذه العـــادات والتقاليد متصلة بانتاجه الصناعى والزراعى أو بانتاجه الفكرى . ويلاحظ أنه بينما تنتهى حيـــاة الانسان فان الحضارة تستمر على مدى الايام ومن أهم ميزات الانسان قدرته على صنـــع الحضارة [2] أى على تكوين تقاليد معينة فى مختلف مظاهر حياته ، وهذه احدى مزايـــاه الانســـانية .

فالحضارة هى نتيجة مباشرة لمجهودات الانسان وسلوكه وتفكيره . وترتبط مرحلـــة تكوينها بمدى تطور تجاربه من طفولته الى نضجه بالاضافة الى وراثته لتجارب من ســـبقه . ويلاحظ المؤرخ وجود نوع من التفاعل فى المجتمع بين الحضارات ذات التقاليد المتوارثة وبـــين الحضارات ذات التقاليد الجديدة فى المجتمع . ولكن مهما كانت نتيجة هذا التفاعل بـــين الحضارات فان سلوك الانسان ليعتمد لحد كبير على العادات والنظم والتقاليد المتوارثة، وربما كان ذلك من العوامل الدالة على وجود نوع من التشابه النسبى بين بعض الحضارات .

وتسير الحضارات فى مجال التطور المادى والفكرى الى أن تصل الى مرحلة متقدمـــة سواء أكان ذلك فى مجال التطور الزراعى والصناعى والعلمى أو فى مجال التوصل الى مرحلـــة الكتابة ، وهذه المرحلة المتقدمة هى مرحلة المدنية [3].

ومن خصائص هذه المرحلة توصل المجتمع الى المقدرة الانتاجية الكاملة للطعـــام أى توصله الى المجتمع الزراعى المستقر والى انشاء القرى والمدن ، وايجاد النظم السياســـية والاقتصادية والاجتماعية المناسبة لحياة الانسان فى هذا المجتمع الجديد ، وأيضا توصلـــه

---

(١) R. J. Braidwood, Prehistoric Men (Chicago 1948) P. 33

(٢) R. Redfield, "The Folk Society" The American Journal of Sociology, vol. LII. no. 4, January, 1947, P. 893.

(٣) Turner op. cit., P. 16

الى التمهير بكافة الوسائل الفنية والادبية عن مختلف نواحى نشاطه [١]. والحقيقة التى يسجلها العلماء كنتيجة لدراساتهم المقارنة هى توصل بعض مجتمعات منطقة الشرق الأدنى القديم وخاصة فى مصر وميزوبوتاميا الى مرحلة انتاج الطعام وأيضا مرحلة المدنية قبل أى مجتمع آخر فى جميع مناطق العالم. [٢]

دور الشرق الأدنى القديم فى عصور حضارات ماقبل التاريخ :

وصل البحث الاثرى والانثروبولوجى فى السنوات الاخيرة الى الحقيقة الهامة أن بدء ظهور المدنية قد تركز فى العالم القديم فى منطقة الشرق الادنى القديم. أما عن وضع الامريكتين فقد كان لهما بدايتهما المستقلة فى الوصول الى مرحلة المدنية. وكان الرأى التقليدى بين العلماء هو أن آسيا وبصفة خاصة منطقة غربى آسيا هى المكان الذى تحول فيه تاريخ الانسان الى مرحلة المدنية. ويتجه بعض الاثريين الى اعطاء ميزوبوتاميا الاولوية فى منطقة الشرق الادنى القديم فى التوصل الى مرحلة المدنية، وذلك على أساس وجود بعض الادلة الاثرية التى تساعد على احتمال اعتماد المدنية الحارابية : Harabban فى وادى السند عليها أيضا [٣]. ويميل بعض العلماء الى القول بأنه حتى فى حالة احتمال العثور على مركز مستقل تبين آثاره مرحلة بداية المدنية فى منطقة جنوب شرقى آسيا فان الشرق الادنى القديم وخاصة ميزوبوتاميا ومصر يحتفظان بأولويتهما [٤] فى التوصل الى مرحلة المدنية قبل أى منطقة أخرى فى العالم. ويمكن القول بأن مرحلة التوصل الى المدنية فى الشرق الاقصى فى وادى النهر الاصفر حدثت فى حوالى سنة ١٥٠٠ ق.م. على الاقل. كما أن المراكز الحضارية فى الامريكتين كانت فى طريقها الى مرحلة المدنية فى حوالى سنة ٥٠٠ ق.م. هذا مع العلم بأن مرحلة المدنية فى ميزوبوتاميا فى رأى بعض العلماء قد حدثت فى حوالى سنة ٣٥٠٠ ق.م. [٥]

---

(١) R. J. Braidwood, The Near East and the Foundations for Civilization (Eugene, 1952), P. 2.

(٢) Ibid.

(٣) Ibid, P. 2, 3

ويتعرض الكاتب الى هذا الموضوع عند مناقشة عصر حضارة جرزه الاخير فى مصر وكذلك عصر حضارة جمدة نصر فى العراق القديم. ويرى الكاتب أن هذا الموضوع لا يزال مجال البحث بين العلماء ويتوقف على نتائج الحفائر فى كل من مصر وميزوبوتاميا فى المستقبل.

(٤) Ibid., P. 3

(٥) Ibid.

أما عن كيفية وأسباب توصل الشرق الادنى القديم الى هذه الاولوية الخطيرة في الانتقال بحياة الانسان الى مرحلة المدنية ، وكذلك في تقديمه الادلة الاثرية القاطعة في توصله الى مرحلة عالية من الانتاج المادى والفكرى في هذا الوقت المبكر في تطور حياة الانسان قرب ابتداء العصر التاريخي فيمكن تلخيصها فيما يلى :

يمكن تقسيم حياة الانسان من ناحية تطوره الحضارى وخاصة في المجال الصناعى والاقتصادى الى المراحل الآتية :-

(أ) مرحلة جمع الطعام وهى المرحلة التى بدأت منذ حوالى ٥٠٠٫٠٠٠ سنة واستمرت الى حوالى ٦٠٠٠ ق.م. وهى الفترة التى عاش فيها الانسان متنقلا ، في سبيل البحث عن رزقه ولم يصل طوال هذه الفترة الى مرحلة الاستقرار الا قرب نهايتها . وهى العصر المعروف باسم العصر الحجرى القديم (الباليوليتى Paleolithic) .

(ب) مرحلة الثورة الصناعية الاولى First Industrial Revolution وهى التى حدثت حوالى ٦٠٠٠ ق.م. في منطقة الشرق الادنى القديم وهى ثورة انتاج الطعام أو بالأحرى التوصل الى مرحلة الزراعة وبداية نشأة القرى أى مرحلة الاستقرار في المجتمع الانسانى .

(جـ) مرحلة انتاج الطعام وهى الفترة التى مهدت الى ظهور عصر المدنية حوالى ٣٢٠٠ ق.م. وهى مرحلة العصر الحجرى الحديث (النيوليتى Neolithic) وعصر استخدام النحاس والحجر (الانيوليتى) وعصور ماقبل وقبيل الاسرات في الشرق الادنى القديم . وقد استمرت هذه المرحلة من ابتداء الثورة الصناعية الاولى أى حوالى ٦٠٠٠ ق.م. الى سنة ١٧٧٠ م. وهو وقت معرفة البخار والقوى البخارية في الصناعة .

(د) مرحلة التصنيع Industrialization وهى المرحلة التى بدأت من القرن الثامن عشر الميلادى ولاتزال مستمرة حتى الآن متخذة طابعا جديدا في العصر المعاصر بعد التعرف على القوة الذرية وأثرها في الانتاج الصناعى .

وقد قام الشرق الادنى القديم[1] كما سبقت الاشارة ، بدور الانتقال من المرحلة

---

(١) المقصود بالشرق الادنى القديم المنطقة الممتدة من نهر السند شرقا الى بحر ايجه غربا ومن حدود هضاب القوقاز شمالاً الى السودان جنوبا ، وعلى ذلك فتعبير الشرق الادنى القديم يتضمن في الواقع مايسمى في العصر الحديث بالشرق الاوسط .

الاولى الى المرحلة الثالثة ، أى أن هذه المنطقة من العالم هى صاحبة الفضل الاول فى الثورة الصناعية الاولى . وهذه الحقيقة مدعمة بالادلة الاثرية الثابتة الناتجة من الحفائر المختلفة فى مختلف جهات هذه المنطقة . ومعنى هذه الثورة هى توصل الانسان فى هذه المنطقة الى مرحلة جديدة فى حياته وهى مرحلة الزراعة وانتاج الطعام بما تتضمنه من الاستقرار ونشأة القرى وتخزين المحاصيل الزراعية وتشييد المراكز التجارية وقيام الصناعات اللازمة لمختلف نواحى التطور الصناعى فى المجتمع الجديد .

ويمكن القول بأن التطور الذى حدث فى حياة الانسان فى ذلك الوقت فى منطقة الشرق الادنى القديم يعتبر من أخطر وأهم فترات التحول والتغيير الكلى فى حياته ، ولهذا كانت تسمية تلك الفترة بالثورة الصناعية الاولى أو الانقلاب الصناعى الاول تسمية صحيحة . ولم يقتصر هذا التفوق الحضارى فى هذه المنطقة على نواحى الانتاج المادى كما تدل عليه الادلة الاثرية المختلفة ولكنه امتد الى نواحى الانتاج الفكرى فقد اتصل هذا الانتاج الزراعى بالنواحى الخاصة بالعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الجديد ، وتطور تفكير المجتمع فى المجال الاجتماعى والمعنوى والدينى تطورا كبيرا وصل الى مرحلة التفكير الاعتقادى المنظم فى ابتداء عصر المدنية . وقد ساعد ذلك على التوصل الى مرحلة التعبير بالكتابة (١) فى ابتداء العصر التاريخى .

ويرتبط موضوع توصل الشرق الادنى القديم الى مرحلة انتاج الطعام ، بالنواحى الجغرافية والجوية (٢) والبيئية فى هذه المنطقة منذ حوالى ١٠٠٠٠ سنة . ففى ذلك الوقت

---

(١) يذهب الاستاذ Thorkild Jacobsen أستاذ اللغة والآداب السومرية الى القول بأن " المعبد كان يمثل الوحدة الاقتصادية فى المدينة السومرية " . ولقد كانت الكتابة من ألزم حاجات المجتمع كتمهيد الى عصر المدنية ، حيث يمكن استخدامها فى تنظيم حسابات المعابد والاسواق والانتاج الزراعى . وعلى ذلك يمكن القول بأن اختراع الكتابة ارتبط بالتطورات الاقتصادية والدينية فى هذا المجتمع الجديد .
Thorkild Jacobsen, " The Relative Roles of Technology and Literacy in the Development of old World Civilizations" A Lecture Delivered for the Department of Anthropolgy, university of Chicago, April 1946, Haman Origins. Series 11 P. 245.

(٢) لا يتعرض الكاتب الى تفاصيل التطورات الجوية والجغرافية فى هذه المنطقة بل يقتصر على الاشارة عنها مركزا كتابته على النواحى الحضارية والاثرية فى عصر انتاج الطعام بصفة خاصة .

كان العصر الجليدى فى مرحلة تراجع كامل ، وكان الانسان يعيش فى مرحلة تقترب من نهاية عصر جمع الطعام ، وكان يسكن فى الكهوف فى بعض المناطق ، ولم يصل بعد الى مرحلة الزراعة . ويمكن تتبع آثار انسان الشرق الادنى القديم فى ذلك الوقت فى الهضاب المحيطة بالمنطقة المعروفة باسم الهلال الخصيب . وكان يسود هذه الهضاب نوع من الحياة النباتية البرية . حيث كان يوجد القمح البرى ، وكذلك نوع من الحياة الحيوانية المتوحشة . وكانت هذه الحيوانات تشمل الماشية والكلب والخنزير والماعز ونوع من الحصان الصغير . ويلاحظ علماء الآثار أن هذه الحيوانات التى كانت فى حالة متوحشة فى ذلك الوقت هى نفسها التى تمكن انسان عصر انتاج الطعام من استئناسها وربطها بحياته الزراعية المستقرة .

ويختلف العلماء فى بحث موضوع الانتقال من مرحلة سكنى الانسان للكهوف الى مرحلة بنائه للقرى أى مرحلة الاستقرار ، وذلك على أساس الادلة الاثرية التى عثر عليها فى كل من المواقع الاثرية المصرية والفلسطينية والميزوبوتامية . وتعتبر الحضارة الناطوفية Natufian فى منطقة جبل الكرمل فى فلسطين هى مرحلة سكنى الانسان الكهوف فى ذلك العصر . ويميل الاستاذ تشيلد Childe الى اعتبار هذه الحضارة ممثلة لمرحلة الانتقال من جمع الطعام الى انتاجه (١). وآثار هذه الحضارة تدل على عدم توصل الانسان الى الصناعات الفخارية او المعدنية بل قد تمكن فقط من صناعة الادوات الحجرية والعظمية ، ولكن العثور على بعض المناجل الحجرية Sickles قد أدى بالعلماء الى تفسيرها على أنها تبين توصل الانسان الى مرحلة الزراعة . وذلك على أساس أن هذه الادوات كانت تستخدم فى حصد النباتات التى قام الانسان بزراعتها . ولكن هناك احتمال آخر وهو امكانية استخدام هذه المناجل لحصد القمح البرى وليس لحصد المحاصيل النباتية . ومن ناحية أخرى قد توصل انسان هذه الحضارة الناطوفية الى استئناس الكلاب ، وربما كان ذلك لبعض الاتصال بحراسة الحقول، ولكن ذلك ليس مؤكدا . ويواجه علماء الآثار فى دراسة مرحلة الانتقال هذه ، بعد دراسة آثار الحضارة الناطوفية ، آثار القرى المستقرة فى كل من مصر وميزوبوتاميا وهذه الآثار الاخيرة تبين مرحلة تطور كبيرة بالمقارنة بآثار الحضارة الناطوفية ولذلك يعتقد أن هناك فجوة حضارية بين مرحلة الحضارة الناطوفية وحضارات القرى المستقرة . ولا يزال

---

(١) G. Childe, What happened in History (New York; 1946), P. 41 ff.

العلماء فى بحث مستمر عن مواقع أثرية [١] تسد فراغ هذه الفجوة الحضارية وتبين التطور التفويتى القاطع من مرحلة جمع الطعام الى مرحلة انتاجه فى منطقة الشرق الادنى القديم ٠

وقد حاول المؤرخ الانجليزى الاستاذ أرنولد توينبى [٢] A. J. Toynbee تعليل حدوث الثورة الصناعية الاولى أو مرحلة انشاء القرى فى مصر الى مبدأ التحدى والاستجابة "Challenge & Response" , , وتتلخص هذه النظرية فى تحدى البيئة وما يتضمنه ذلك من فيضانات نهر النيل السنوية وتهديداتها لحياة الانسان الذى بدأ فى الانتقال الى جوانب النهر بعد انتهاء العصر المطير٠ وقد حاول الانسان أن يجيب على تحدى البيئة بمحاولات التحكم فى مياه النهر وذلك عن طريق انشاء السدود والجسور والترع والقنوات مما كان له أثره فى التعرف الى الزراعة والاستقرار وانشاء القرى على جوانب النهر وجاء ذلك بطبيعة الحال بعد مقابلته لعدد كبير من التجارب المختلفة ٠ وهذه النظرية تحتاج الى تدعيم بالادلة الاثرية كما أنها تواجه الباحث بعدد من الصعاب التى لا يجد تفسيرا نهائيا لها ٠ ويتساءل بعض العلماء فى الدواعى التى أدت الى حدوث التحدى والاستجابة بالنسبة الى الانسان القاطن على جانب نهر النيل فى مصر بالذات ؟ ولماذا لم يحدث فى منطقة أعالى النيل [٣] ؟ وهل حدث ذلك فى بعض الانهار ذات الفيضانات المختلفة فى جهات أخرى من العالم ؟ وما الداعى المباشر لاستجابتهم لتحدى البيئة ؟ ٠ وهناك احتمال تفسير حدوث الانتقال فى منطقة الشرق الادنى القديم الى تفوق أجناس شعوب هذه المنطقة غيرها من مناطق العالم٠ ولكن نظرية التفوق الجنسى هذه قد كذبتها الدراسات الانثروبولوجية الحديثة ٠ فقد وصل الانثروبولوجيون الى الحقيقة القائلة بعدم وجود ارتباط بين الجنس أو العنصر البشرى وبين التفوق فى عملية بناء حضارة أو مدنية ما [٤] ، ويمكن

---

(١) يتجه الاستاذ بريدود R. Braidwood الى اعتبار موقع كريم شاهير Karim - Shahir وكذلك جارمو Jarmo وهما فى شمال شرق العراق عند هضاب كردستان ، يمثلان التطور من مرحلة سكنى الكهوف (الحضارة الناطوفية) الى مرحلة انشاء القرى ٠ ويمثل موقع جارمو قرية مستقرة بينما لا يمثل موقع كريم شاهير مرحلة القرى المستقرة بل مرحلة تطور تالية لمرحلة سكنى الكهوف ٠
وبنى العلماء نتائجهم فى توصل هذا المجتمع اذ ذاك الى المراحل الحضارية المختلفة على أساس انه ... النباتية بطبيعة الحال ... الانسان فى مختلف نواحى النشاط الانسانى الصناعى والزراعى والفكرى ٠

(٢) A. J. Toynbee, A study of History (New York & London, 1947). PP. 68 - 73.

(٣) J. A Wilson, The Burden of Egypt (Chicago, 1951). P. 33.
I bid.

(٤) R. J. Braidwood, W. M. Krogman and S. Tax, Time space, and Man (Chicago 1956) Sheet 1.

القول بأن توصل الشرق الادنى القديم الى مرحلة انتاج الطعام هذه جاء نتيجة تطور طبيعي في الصناعات المختلفة التى تمكن انسان هذه المنطقة من انتاجها فى مرحلة انتاج الطعام. وربما كان عامل انتظام البيئة بالنسبة لمصر مساعدا فى ذلك ٠ فالنيل يفيض فى وقت معين وبصورة منتظمة كل عام ولاشك أن الانسان بدأ فى ملاحظة ذلك عندما قطن بجوار هذا النهر، كما لاحظ أيضا شروق الشمس أولا ثم غروبها أى موتها بصورة واضحة فى البيئة المصرية ٠ وكذلك لاحظ ظهور واختفاء بعض الجزر الصغيرة الموجودة فى مجرى نهر النيل وذلك أثناء ارتفاع مياه الفيضان وانحسارها بعد انتهائه ٠ (١) وكذلك مايترتب على مجيء الفيضان من القذف بكميات من الغرين مما يساعد فى ظهور بعض النباتات ، أى مظاهر من الحياة الزراعية التى لاشك أنها استرعت انتباهه مما أدى الى تعرفه على عدد من التجارب المختلفة المرتبطة بهذه البيئة ذات النشاط المنتظم ٠ ولاشك أن ذلك مهد الى توصله التدريجى الى مرحلة انتاج الطعام ٠ وربما حدث مايشبه ذلك مع اختلاف فى الاوضاع البيئية فى منطقة ميزوبوتاميا ٠ وتجدر الاشارة هنا الى أن الثورة الصناعية الاولى قد استغرقت حوالى الالف عام (٢) حتى تمكن الانسان من الانتقال الفعلى الى مرحلة الزراعة والاستقرار ٠ وهذه الفترة قد أمضاها الانسان فى التعرف على عدد من التجارب المختلفة التى ساعدته فى الانتقال بحياته الى المرحلة الجديدة ٠ وبوصوله الى مرحلة الزراعة هذه بدأ فى انشاء القرى وبناء المساكن والمخازن والمقابر والمعابد والاسواق والطرقات ومايستلزم الحياة المستقرة فى مجتمعه الجديد ٠

وأقدم القرى الموجودة فى منطقة الشرق الادنى القديم هى قرى مصر حضارة الفيوم أ (٣) . وقرية مرمدة بنى سلامة ، وقرية حلوان العمرى فى مصر السفلى ، وقرى عصر حضارة ديرتاسا فى مصر العليا وقرية جارمو وقرية تل حسونة فى شمال شرق العراق ، وقرية سيالك فى شمال وسط ايران ، وبعض قرى منطقة العمق فى شمال شرق سوريا ، وتمثل هذه

---

(١) وقد عبر المصرى أثناء العصر الفرعونى عن حقيقة بزوغ بعض الجزر بعد انحسار مياه الفيضان بالرمز الهيروغليفى ... الخ ٠

A. Erman & H. Grapow, Wörterbuch der Aegyptischen Sprache, vol. III (Leipzig, 1923), P. 239.
R. S. El-Nadoury The Egyptian term H - NSWT and the proplems of the "Accessian" of the Egyptian King, a Dissertation (Chicago, 1953), P. 21.

(٢) R. Braidwood, prehistoric men (Chicago 1946), P. 88.

(٣) تعتبر هذه الحضارة ضمن حضارات مصر السفلى ٠

القرى الاولى أقدم مراكز استقرار في جميع أنحاء العالم ، وذلك بناء على الدراسة المقارنة للادلة الاثرية المختلفة التي أنتجها سكان هذه القرى . وهى أمثلة من الحضارات الاولى لعصر انتاج الطعام . وقد تطورت هذه الحضارات فى العصور التالية الى أن تمكنت من الوصول الى مرحلة المدنية وابتداء العصر التاريخى .

بعض حقائق موجزه عن حضارات العصر الحجرى الحديث
فى كل من مصر وميزوبوتاميا

مر المجتمع الانسانى بمراحل عديدة من التطور الاقتصادى والاجتماعى والدينى والسياسى . ويمكن تتبع هذا التطور فى مختلف مجتمعات ماقبل التاريخ فى العصر الحجرى الحديث وفى عصور ماقبل وقبيل الاسرات ، ولكن كما سبق أن أشرت من قبل أن التطور الكبير فى المجتمع الانسانى حدث فى العصر الحجرى الحديث فى منطقة الشرق الادنى القديم وخاصة فى كل من مصر وميزوبوتاميا . ففى هذا العصر بدأ الانسان فى تكوين تقاليد صناعية جديدة بعد تعرفه على الثورة الصناعية الاولى وحاجته الى مختلف الادوات الصناعية المتصلة بنشأة الزراعة ، كما أن تعرفه الى الحياة الزراعية اضطره الى الاستقرار والى ظهور المجتمع القروى مما أدى الى نشأة نوع جديد من تفكير الانسان وسلوكه فى مختلف مظاهر حياته وذلك على أساس المبادئ والاسس التى يقوم عليها المجتمع الجديد . فمجتمع العصر الحجرى الحديث يقوم على أساس الاستقرار الزراعى وليس على أساس الانتقال من مكان الى آخر . وقد خلق هذا الوضع الجديد سلوكا انسانيا جديدا حادثا نسبيا ، فالفلاح مضطر الى ملاحظة زراعاته ومحتاج الى الدفاع عن حقله ويدفعه ذلك الى ضرورة التعاون مع جيرانه الى حد كبير . وقد تطور هذا النوع من التفكير الجديد الى وجود شعور بالارتباط بأرضه المزروعة وقد تطور ذلك فيما بعد الى الشعور بالوطنية المحلية .

ويمكن تتبع آثار الانسان فى العصر الحجرى الحديث (النيوليتى Neolithic) فى عدد من المواقع الاثرية فى كل من مصر السفلى والعليا . مثل مواقع كوم ك (K) وكوم و (W) شمال شرق بحيرة قارون وكذلك مواقع مرمدة بنى سلامة وحلوان العمرى وديرتاسا . وتمثل هذه المواقع القرى الاولى التى قامت فيها حضارة العصر الحجرى الحديث فى مصر . ويمكن اعتبار آثار هذه القرى بمثابة الآثار الممثلة للتطورات المختلفة التى مرت بحياة الانسان فى تلك الفترة فى مصر . ويلاحظ المؤرخ اختلاف هذه الآثار من قرية الى أخرى من ناحية التطور والنوع والكمية وكذلك التقاليد الصناعية . ويمكن تعليل ذلك بأن الانسان فى هذا العصر قد مر بطبيعة الحال بعدد من التطورات حسب ظروف حياته وحسب البيئة التى نشأ

بيها هذا التطور. ويميل العلماء الى تقسيم هذا العصر الى عدد من الحضارات التى تمثل كل منها فترة زمنية ساد فيها أسلوب حضارى معين ذو تقاليد صناعية وحضارية خاصة ، ومميزة للبيئة والمجتمع الذى نشأت فيه هذه الحضارة ، ويمكن تلخيص حضارات مجتمعات العصر الحجرى الحديث فى مصر وكذلك حضارات مجتمعات العصر الحجرى الحديث فى ميزوبوتاميا فى الجدول المرفق هذا مع مراعاة أن هذا الجدول يتضمن أيضا عصور حضارات مجتمعات استخدام الحجر والنحاس Chalcolithic وعصور حضارات مجتمعات ماقبل وقبيل الاسرات فى كل من مصر وميزوبوتاميا وفلسطين وسوريا وكريت .

وقد أظهرت دراسة الادلة الاثرية التى تركها عصر حضارة الفيوم أأن مجتمع الفيوم أ يمثل ابتداء نشأة القرى أى ابتداء استقرار (١) الانسان بصورة نهائية فى مصر، وقد اتجه الانسان فى مرحلة استقراره فى هذه المنطقة الى شواطىء بحيرة قارون وكانت مياه هذه البحيرة فى طريقها الى الانحسار تاركة الاراضى الخصبة الصالحة للزراعة . وقد استغل الانسان هذه الظروف البيئية المناسبة التى ربما لاحظها بعد انتهاء العصر المطير وبداية مرحلة الجفاف ، عند مواجهته لنهر النيل وكذلك فى مناطق الواحات فى الصحارى . واتجه الانسان الى استغلال هذه الاراضى وتعرف ــ كما سبقت الاشارة ــ الى الزراعة وبدأ فى بناء القرى فى هذه المنطقة . وقد تمكنت الاستاذة كاتون تومسون G. Caton - Thompson (٢) من عمل حفائر فى بعض الاكوام شمال شرق بحيرة قارون وخاصة كوم و (W) وكوم ك (K) وقد كشفت فى هذين التلين عن قريتين وجدت فيهما مجموعات هامة من الادلة الاثرية التى تؤكد توصل مجتمع حضارة الفيوم أ الى مرحلة الزراعة بصورة جيدة ، وكذلك توصله الى صناعة الادوات الحجرية المختلفة اللازمة لحياته الزراعية الجديدة مثل الاسبتة والمناجل والاجران والفؤوس وكذلك صناعة السهام والرماح ، هذا بجانب صناعته الاوانى الفخارية باليد ، وذلك لعدم توصله فى ذلك الوقت الى استخدام عجلة الفخار.

---

(١) المقصود بكلمة استقرار Settlement هنا معنى الاستقرار الكامل بجوار الاراضى الزراعية التى قام بزراعتها وبدأ بعد ذلك فى بناء المنازل والاسوار والمخازن أى مظاهر الاستقرار الكامل فى القرية .

(٢) G. Caton - Thompson & E. W. Gardner, The Desert Fayum (Great Britain) , 1934.

وقد تمكن انسان هذه الحضارة من الوصول الى هذا المستوى العالي في الانتاج الزراعي والصناعي في بيئة الفيوم أي محليا ، وربما حمل معه أثناء انتقاله الى هذه المنطقة بعض التقاليد الصناعية التي تمكن من معرفتها قبل استقراره في منطقة الفيوم ، ولكن التطورات الحضارية في مجتمعه الجديد نشأت بعد استغلاله للبيئة الزراعية الجديدة وبعد شعوره بحاجته الى صناعات تكمل حياته الزراعية .

وكوم (و) الذي يقع في شمال شرق بحيرة قارون بيضاوي الشكل ويمتد حوالي ٦٠٠ قدم من الشرق الى الغرب ، ٥٠٠ قدم من الشمال الى الجنوب . وقد قسم الاثريون هذا الكوم الى عدة أقسام وأظهرت نتائج الحفر وجود حفر يبلغ عددها ٢٤٨ حفرة . وهذه كانت تستخدم كمكان لحرق الاخشاب للحصول على النار التي تستعمل في طهي الطعام . ويلاحظ الاثريون أن المادة التي استخدمت في الحرق في عصر حضارة البداري كانت من روث البهائم . وربما استخدمت هنا سيقان النباتات البرية أو المزروعة كوقود لهذه النار . ولم يستخدم انسان هذه الحضارة أي نوع من الاحجار أو كتل الطين لاحاطة هذه الحفرة وكنوع من المحافظة على النار . وقرب كوم (ك) عثر على ٦٧ حفرة منها ٥٦ كانت تستخدم كمخازن لخزن المحصول الزراعي . ويلاحظ أنه وجد ٤٢ من هذه المخازن مبطنا بالقش . ويبلغ قطر المخزن من ٥ قدم و ٢ بوصة الى ١ قدم و $\frac{1}{2}$ ٢ بوصة والعمق ٣ قدم الى أقل من قدم واحد . وفي بعض الاحيان حدد المخزن silo بواسطة حصير مصنوع من قشر الذرة . وقد وجد في هذه المخازن القمح والشعير وقشر القمح وبذور نبات عصا الراعي وأيضا وجد بعض القمح في حالة (تكرين) carbonised . وفي بعض المخازن عثر على بقايا قماش وكذلك بعض الجلود . ولم تكشف الحفائر حتى الآن وجود مقابر وربما توجد في مكان آخر لايزال في حاجة الى عمل حفائر فيه . ومن أهم ماوصل اليه مجتمع حضارة الفيوم أ بعض مظاهر التفكير الجماعي في المجتمع ، وذلك بناء على وجود المخازن الجماعية بجانب المخازن الخاصة . كما أن العثور على عدد كبير من أدوات الصيد المختلفة ربما يكون دليلا على جمع انسان هذه الحضارة بين الزراعة والصيد . ولكن مما لاشك فيه أن جميع آثار حضارة الفيوم أ تبين انتقال الانسان من مرحلة الصيد وجمع الطعام الى مرحلة الاستقرار ونشأة القرى .

وفي قرية مرمدة بني سلامة على الضفة الغربية لفرع رشيد بغرب الدلتا تمكن الانسان من بناء قرية كبيرة الحجم اذا قورنت بقرى مجتمع ديرتاسا وغيره من مجتمعات مصر العليا . وكان العلماء يتجهون الى القول بأن هذا الموقع مكون من طبقة واحدة ولكن ثبت من دراسة نتائج الحفائر أنه مكون من ثلاث طبقات . ولم تترك الطبقة السفلى أي بقايا منازل ولكنها

تركت بعض المواقد والمقابر وبعض شقف من الفخار[١]. وعثر في الطبقة الوسطى على عدد من الثقوب أو الحفر المنظمة على شكل بيضاوي يتوسطها أحدها ووظيفتها مرتبطة باحتمال استخدامها كمكان توضع فيه الاعمدة الخشبية ، وهذا يبين أن منازل أصحاب هذه الطبقة الحضارية كانت مصنوعة من الخشب . أما منازل الطبقة العليا فكانت مصنوعة من كتل الطين وعلى شكل بيضاوي وبطريقة منتظمة تدل على تفوق التنظيم الاجتماعي في مجتمع ذلك العصر. وتدل دراسة آثار جميع الطبقات على استخدام سكانها للحبوب. ولم يعثر على المخازن التي تحتوي على الاسبتة الخاصة بهذه الحبوب الا في الطبقة العليا فقط . وقد عثر على بقايا هذه المخازن بجانب كل مسكن . أما البقايا العظمية فتدل على استخدام هذا المجتمع للماشية . أما عن انتاج أصحاب حضارة مرمدة بني سلامة فيمكن متابعته في الصناعات الحجرية وخاصة صناعة المناجل والسكاكين والسهام ، وكذلك في الصناعات الفخارية . ويتميز الفخار بأنه مصنوع باليد لعدم توصل المجتمع الى عجلة الفخار بعد ، ومن ناحية ايمان هذا المجتمع بالحياة الآخرة فقد دفن السكان موتاهم بجوار أو داخل منازلهم وذلك يشبه لحد ما مجتمع حضارة حلوان العمري في وجود بعض المدافن داخل القرية . ومن ذلك يتبين أن هذا المجتمع لم يصل في تطور تفكيره الى مرحلة بناء منازل خاصة بالاموات خارج القرية أى في منطقة خاصة لذلك الغرض ، بل كان دفنهم داخل نطاق قرية الاحياء .

ومن حضارات العصر الحجري الحديث في مصر عصر حضارة حلوان العمري . وتقع هذه القرية عند قاعدة بروز صخري في حافة الهضبة يسمى رأس الحوف على بعد ثلاثة كيلو مترات شمال مدينة حلوان وعند نهاية سكة حديد المحاجر . ويتكون الموقع الاثري من جبانتين وقرية . وقد دل البحث في هذا الموقع على اتصال هذا المجتمع بمجتمع مرمدة بني سلامة وكذلك بمجتمع المعادي ، وهذا يدل على اتصاله بمصر السفلى أكثر من الصعيد . ويلاحظ الدارس لبقايا مساكن القرية . أنها ذات نوعين . النوع الاول منازل تعتمد على اعمدة خشبية في شكل بيضاوي ومبنية على سطح الارض . والنوع الثاني له أساس محفور في الارض وأبنية في شكل دائري .[٢] ولم يتبق من النوع الاول غير آثار قليلة من الاعمدة الخشبية تدل على وجوده . اما النوع الثاني فقد تبقت آثار البناء المحفور في الارض . هذا وتختلف أعماق هذا البناء السفلي.

---

(١) Elise J. Baumgartel, The Cultres of Prehistoric Egypt ((London 1955), P. 120.

(٢) F. Debono " Al - Omari (PrésD'Helouan), Annales du Service des Antiquités de L'Egypte, Vol XLV 111, P. 563.

وقد عثر العلماء أيضا على عدد كبير من المخازن المحفورة فى الارض.

أما عن عادات الدفن فى هذا المجتمع فقد دفن السكان موتاهم فى القرية نفسها وبجوارها وأيضا بعيدا عنها[١]، والتقليد الخاص بالدفن فى القرية نفسها يخالف مااعتاد عليه مجتمع ديرتاسا ولكنه يشبه مااعتاد عليه مجتمع مرمدة بنى سلامة . ووجدت الجثث فى وضع على الجانب الايسر ويتجه الوجه نحو الغرب والرأس نحو الجنوب وقد غطى الجسم بواسطة حصير وأحيانا بالجلد أو القماش. ويلاحظ الدارس أن بعض المقابر قد وزعت فى صفوف منتظمة وكذلك غطيت بعضها بواسطة كوم من الحجر. ولم يستقر الرأى بصورة نهائية حتى الآن على انتماء الجبانتين الى نفس القرية .

ومن أهم آثار مجتمع حلوان العمرى والتى لم يعثر على مثيل لها حتى الآن فى مجتمعات ماقبل التاريخ فى مصر هى بقايا آثار أزهار وجدت بجانب الجزء العلوى من جسم المتوفى . وكذلك عثر أيضا ضمن آثار هذه الحضارة على نواة تمرة [٢]. ويغلب أن المؤرخ لم يتوصل حتى الآن على معرفة هذه الفاكهة فى مصر الفرعونية قبل عصر الدولة الوسطى وقد أنتج مجتمع حلوان العمرى نوعا جيدا من الفخار الذى كان يصنع باليد . هذا بجانب صناعة الادوات الحجرية والعظمية والخشبية والصدفية بالاضافة الى صناعة النسيج والاسبتقوالمصنوعات الجلدية . ويمكن القول بوجه عام أنه على الرغم من تشابه هذا المجتمع بمجتمع مرمدة بنى سلامة لحد ما فان آثار حلوان العمرى تبين تطورا ملحوظا على نطاق أوسع نسبيا .

أما المجتمع المميز لمصر العليا وينتمى الى العصر الحجرى الحديث فهو مجتمع ديرتاسا على الضفة الشرقية جنوب شرق أسيوط . وتنتشر قرى وجبانات هذا المجتمع فى المنطقة الصحراوية الواقعة بين الهضاب الشرقية من ناحية وبين الارض المنزرعة من ناحية أخرى . وقد وجدت مقابر التاسيين مختلطة بمقابر البداريين ، ولذلك اتجه بعض المؤرخين الى اعتبارهم أقرباء للبداريين . وقد أنتج هذا المجتمع نوعا من الفخار المميز له وهو الاقداح التى على شكل الناقوس. وربما كان السبب فى اتخاذه هذا الشكل هو تقليده للوعاء الجلدى الذى كان يستخدم فى بداية الامر. وقد زينت هذه الاقداح التاسية بخطوط حفرت فى الآنية وملئت بطلاء أبيض. وأنتجت هذه الحضارة أيضا أمثلة جديدة من اللوحات وأدوات الزينة .

---

(١) Debone, Ibid., P. 564.
Debono, " Holouan: El Omari ", Chrinique d'Egypte, Jan., 1946, P. 51.

(٢) Debone. Op. cit., P. 568.

ويمكن القول أن مجتمع عصر حضارة ديرتاسا قد انتقل فى مراحل التطور الى مرحلة تفـــوق مجتمع الفيوم أ لحد ما . أما فيما يتعلق بالمقابر التاسية فكانت مستطيلة الشكل وكان الميـت يوضع داخل سلة مصنوعة من الاغصان وكانت تغطى بالحصير، وكان الجسم يلف بواســطة الجلود، وقد عثر على بقايا أقمشة يحتمل استخدامها فى اللف . وكانت توضع تحت الرأس وسادة من القش أو النخالة أو الجلد . ولم يعثر على مايدل على طريقة تسقيف المقبرة . وفى المقبرة رقم ٢٨٤٢ عثر على فجوة فى الجزء الغربى منها، وهذه الفجوة (١) تسع آنية فخارية . ويمكن القول أن هذه الفجوة ربما تعتبر تمهيدا لما ظهر فى صميم العصر التاريخى فى مصر الفرعونيـة من وجود مخازن متصلة بحجرة الدفن لخزن مايحتاج اليه المتوفى فى العالم الآخر، وقـد عثر على بقايا شعر المتوفى فى ثلاثة مقابر، ومما يذكر أن الشعر كان مموجا مما يدل على عـدم انتماء أصحابه الى العناصر الزنجية فى ذلك العصر الحضارى . ولم يعثر على أى دليل يبيـن توصل أصحاب هذا المجتمع الى استخدام التوابيت الخشبية . ويلاحظ أيضا أن جبانـات مجتمع دير تاسا كانت مستقلة عن مساكن الاحياء، وهذا يبرر تفوق هذا المجتمع على مجتمـع مرمدة بنى سلامة فى هذا الموضوع . أما من ناحية الحياة الزراعية فقد عثر على الاجران وعلـى مخزنين للقمح مما يبين بصورة واضحة معرفة هذا المجتمع للزراعة بجانب ممارسة أهلـه فى الصيد البر و النهر .

من ذلك كله يتبين أن هناك أربعة مجتمعات فى مصر تنتمى الى العصر الحجـرى الحديث . وتدل آثار هذه المجتمعات الاربعة وهى الفيوم أ ومرمدة بنى سلامة وحلـوان العمرى ودير تاسا على توصلها جميعا الى مرحلة انتاج الطعام (الزراعة) وبناء القـرى ومختلف لوازم الحياة المستقرة . فتمكن انسان هذا العصر فى مصر من صناعة الاوانى الفخاريـة والحجرية المتصلة بالحياة الزراعية . كما أنتج المنسوجات بجانب بنائه المنازل والمقابر، وقـد استمرت هذه المجتمعات فترة حوالى ألف عام الى أن تمكن المجتمع فى مصر من الانتقـال الى عصر جديد هو عصر استخدام النحاس والحجر . ويلاحظ الدارس فى تطور مجتمعات العصر الحجرى الحديث فى مصر أنها بدأت باستكمال حاجات الانسان الاقتصادية اولا ثم النواحـى الكمالية بعد ذلك . ومن ناحية أخرى يمكن الاستدلال من وجود المخازن الجماعيـة فى مجتمع الفيوم أ على التفكير الجماعى فى هذا المجتمع بجانب وجود بعض المخازن الخاصـة . ولاشك أن هذا التفكير الجماعى يمكن ملاحظته من مرحلة الثورة الصناعية الاولى عندمـا

---

(١) G. Brunton, Mostagedda and the Tasian Culture, (London, 1937), P. 26.

اضطر الانسان أن يواجه تحدى النهر واضطر للتعاون للتحكم فيه • وليس معنى توصل مجتمع العصر الحجري الحديث الى الزراعة أنه أهمل كلية التفكير في الصيد فتدل الآثار على العثور على عدد كبير من أدوات الصيد بجانب أدوات الزراعة مما يبين جمع الانسان بين مهنة الزراعة وبين مايلزمه من صيد الحيوانات والطيور والاسماك • وقد رتب بعض العلماء أخيرا هذه الحضارات الاربعة السالفة الذكر على أساس أن أقدمها هي حضارة الفيوم أ وأحدثها حضارة ديرتاسا وذلك على أساس المقارنة للادلة الاثرية • وربما يعدل هذا الترتيب على أساس نتائج الحفائر الجديدة •

ويتبين من دراسة الجدول المقارن المرفق بأن عصر حضارة الفيوم أ يعاصر عصر حضارة جارمو بالعراق القديم • وهناك بعض المؤرخين من يجعل عصر حضارة حسونة هو العصر المعاصر للفيوم أ في مصر(١) والدراسة الحديثة حتى الآن تبين معاصرة جارمو للفيوم أ • وقبل تتبع هذا الموضوع بالمقارنة يمكن تلخيص حضارات العصر الحجرى الحديث وعصور ماقبل وقبيل الاسرات في العراق القديم فيما يلي :

١ـ عصر حضارة جارمو ٢ـ عصر حضارة حسونة ٣ـ عصر حضارة حلف ٤ـ عصر حضارة العبيد هـ ـ عصر ماقبيل الكتابة ـ أ) عصر حضارة الوركاء ب) عصر حضارة جمدة نصر•

وقد سبقت هذه العصور الحضارية الممثلة للعصر الحجرى الحديث عدة حضارات تمثل العصر الحجرى القديم وكذلك فترة الانتقال من العصر الحجرى القديم الى العصر الحجرى الحديث أى من مرحلة سكنى الكهوف الى مرحلة بناء القرى المستقرة فى العراق القديم • وقد قام الاثريون بالحفر في بعض كهوف العصر الحجرى القديم وخاصة في باليكورا وكذلك في كاريم شاهير في منطقة هضبة كردستان • ويمكن تأريخ حضارة هذين الموقعين الى نهاية العصر الحجرى القديم أو نهاية عصر سكنى الكهوف في العراق القديم • وهناك فجوة حضارية بين حضارة كاريم شاهير وبين حضارة جارمو وهو التل الذى يمكن اعتباره ممثلا لبداية الاستقرار ونشأة القرى في العراق القديم • وتوجد في تل جارمو بقايا حوالى اثنى عشرة طبقة حضارية وذلك خلال عمق قدره ٢٥ قدم • والبقايا المعمارية في حضارة جارمو عبارة عن حيطان مصنوعة من الطين وفي بعض الاحيان ذات أساس من الحجر • وقد عثر الاثريون على الاوانى الفخارية وكذلك على بعض التماثيل الصغيرة المصنوعة من الطين وتمثل بعض الحيوانات وكذلك آلهة الامومة • وكذلك أنتجت الحفائر عددا من الاوانى الحجرية وكذلك الاسلحة الخاصة

---

(١) H. Fronkfort, the Birth of Civilization. (Bloomington, 1951) P. 112

بالمناجل • وقد عثر على بقايا القمح والبسلة • وقد قام العلماء المختصين ببحث بقايا عظـــام الحيوانات فدلت على انتماء غالبيتها (٨٠ ٪) للاغنام والماعز ، وذلك يبين بصورة واضحـــة أنها لاتتصل بمرحلة الصيد بل بمرحلة الاستقرار وحياة القرى المستقرة •

ويحتمل وجود فجوة حضارية بين عصر حضارة جارمو والعصر الحضاري التالي وهـــو عصر حسونة [١] الذي يمكن اعتباره أنه يمثل صميم عصر القرى المستقرة بصورة أكيدة • ويمـــكن للباحث تتبع آثار هذا العصر الحضاري في المواقع التالية : تل حسونة في الطبقات من ١ ـ ٥ ويمكن اعتبار الطبقة السادسة بداية عصر حضارة حلف ، وسامرا ؛ وهي مجموعة من المقابـــر ، ونينوى : الطبقات ١ ، ٢ أ ، ٢ ب وغيرها • وعصر حضارة حسونة يمثل حضارة قريـــــة مستقرة في العصر الحجري الحديث • ولم يعثر الاثريون على أي معدن في تل حسونة أي أن أصحاب هذا العصر الحضاري لم يصلوا الى عصر استخدام النحاس والحجر بل يمثلون صميم العصـــر الحجري الحديث • فقد تمكنوا من زراعة النباتات وخاصة القمح وكذلك استئنسوا الحيوانـــات كالغنم والماعز والخنزير ، وبنوا منازلهم من كتل الطين ، ولم يصل الانثروبولوجيون الى التعـــرف على جنس أصحاب هذه الحضارة • وقد عثر الاثريون على أدلة أثرية عديدة تبين تقدم أصحـــاب هذه الحضارة ، في الصناعة الفخارية ، فهناك أمثلة من الفخار المصقول وفخار سامرا الملـــون الذي اتجه البعض الى اعتباره ممثلا لعصر حضاري مستقل ، ولكنه يعتبر الآن ضمن عصر حضـــارة حسونة الممتد على طول الطريق بين نهر دجلة والبحر الابيض المتوسط • ولاتوجد أمثلـــة جنوب سامرا تمثل هذا العصر الحضاري وربما كان السبب في ذلك أن جنوب ميزوبوتاميا لـــم يكن معتبرا مناسبا في ذلك الوقت للسكنى وذلك لرطوبته[٢] • هذا وقد توصل انسان حضـــارة حسونة الى فكرة الايمان بالحياة في العالم الآخر • وقد عثر على بقايا جثث للاطفال دفنوا فـي بعض الاواني الفخارية كما أن اتجاه رأس المتوفي كان نحو الشمال • وتؤرخ هذه الحضـــارة الآن بحوالي ٤٤٠٠ ق•م•

والواقع أن المؤرخ يجد صعوبة في الوصول الى رأى نهائي ازاء موضوع أولوية التوصـــل الى مرحلة الاستقرار الكامل بين كل من مصر والعراق القديم أو بالاحرى بين عصر حضـــارة

---

(١) S, Lloyd and F. Safar. "Tell Hassuna" journal of Near Eastern Studies. Oct. 1945.

(٢) عالج الاستاذ الدكتور سليمان حزين موضوع الجو في مصر في عصور ماقبل التاريخ ووصـل الى أنه كان رطبا في ذلك الوقت بدرجة تفوق رطوبته في العصر التاريخي •

S. A. Huzzayin The place of Egypt in prehistory, Mémoires présentés à l'Institut d'Egypt," Vol. XLIII, 1941.
S. A. Huzzayin. Some New Light on the Beginnings of Egyptian Civilization (Cairo, 1939).

الفيوم أ ومرمدة بنى سلامة من ناحية وعصر حضارة جارمو وعصر حضارة تل حسونة من ناحيـــة أخرى . ولو أن الظواهر حتى الآن تبين أقدمية الفيوم أ فى بعض النواحى وكذلك أقدميـــة جارمو فى بعض النواحى الاخرى . ونظرا لحداثة البحث فى جارمو ، وكذلك ضرورة اعـــادة البحث فى مواقع الفيوم أ فالموضوع لا يزال مجال البحث . وربما تكشف نتائج الحفائر الحديثـة رأيا نهائيا فى هذا الموضوع الهام . ومقارنة نتائج الحفائر فى كل من الفيوم أ وجارمو تبـــين توصل كل منهما الى مرحلة الزراعة المستقرة ونشأة القرى فكلاهما أنتج المناجل الحجريـــة وتوصل الى صناعة الفخار، وكذلك الصناعات العظمية وصناعة الاجران وصناعة الاسبتة فى الفيوم أ والحصير فى جارمو . ويأخذ المؤرخ فى الاعتبار فى هذه الدراسة المقارنة مختلف نواحـــى الانتاج المادى والمعنوى كما يتبين من مختلف الادلة الاثرية .

وفيما يتعلق بالعصر الحضارى التالى فى كل من مصر والعراق القديم وهو عصر استخدام النحاس والحجر فيتمثل فى مصر العليا فى عصر حضارة البدارى وفى مصر السفلى فى عصر حضـارة الفيوم ب . أما فى العراق القديم فيتمثل فى عصر حضارة حلف ، ولو أن استعمال المعـــادن فى هذا العصر الاخير كان نادرا . ويمكن تلخيص أهم النتائج لهذا العصر فى كل من مصر والعراق فيما يلـــى :

ملخص عن عصر استخدام النحاس والحجـــر
فى كل من مصـــر وميزوبوتاميـــا

يتمثل هذا العصر فى مصر بصفة خاصة فى عصر حضارة البدارى ويتميز هذا العصـــر باستخدام معدن النحاس كمادة جديدة فى الصناعة . وقد ساعد ذلك على تطور الحيـــاة الصناعية فى هذا المجتمع ولو أن الادلة الاثرية لا تدل حتى الآن على العثور على كميات كبـيرة من الادوات المصنوعة من النحاس . وقد اتجه البعض الى الاعتقاد باحتمال استيراد هـــذه الادوات النحاسية وعدم صنعها محليا ولكن الرأى التقليدى حتى الآن هو تمكن المجتمـــع فى هذا العصر من التوصل الى هذه المرحلة الجديدة وهى مرحلة استخدام النحـــاس بجانب الحجـــر .

ويتجه البعض الى اعطاء أولوية استخدام النحاس فى العالم القديم الى ايران . ومما لاشك فيه أن مجتمع البدارى استخدم النحاس لاول مرة فى مصر . هذا بجانب توصلـــه الى انتاج مختلف الادوات الحجرية الخاصة بالحياة الزراعية مما يبين تفوقه الصناعى فى كافـة النواحى . وقد آمن أصحاب حضارة البدارى بالحياة فى العالم الآخر . وتتميز جوانب بعـــض

المقابر البدارية بعدم كونها عمودية بل منحدرة قليلا وذلك يجعل أرضية المقبرة أصغر حجما من فوهتها (١). وقد عثر على بقايا الحصير على جوانب المقبرة لوقاية المتوفى من سقوط الرمل عليه وكذلك عثر على ثقب في أحد جوانب احدى المقابر ووجد فيها بقايا خشب ربما لحمل أعمدة السقف الخاصة بالمقبرة وكل ذلك يبين تطور فكرة الايمان بالعالم الآخر وزيادة تأكيدها في هذا العصر، وكان الجلد هو احدى المواد التى تستخدم في تغطية جسم المتوفى. ولوحظ أيضا أن مقابر الذكور قد حفرت بجانب مقابر الاناث.

ولم يعثر على بقايا توابيت خشبية أو طينية ولكن عثر على بقايا سلال. ومما يسترعى الانتباه وجود مدافن خاصة بالحيوانات وهذا يدل على وجود حيوانات مقدسة لديهم. اما عن وضع أجسام الموتى فتتميز بكونها كأنها فى حالة نوم طبيعى (وضع القرفصاء) بزوايا تختلف باختلاف المقابر. وكان اتجاه الرأس عادة نحو الجنوب وبعضها نحو الشمال. وعلى الرغم من أن البداريين قد تركوا عدة أدلة أثرية تبين ايمانهم الاكيد بالحياة في العالم الآخر الا أن آثارهم لم تبين وسائل المحافظة على الجثة ذاتها أى التحنيط ولكن وجدت ـ كما سبقت الاشارة ـ بعض لفائف من القماش ولفائف من الجلد حول الجسم. وقد عثر على بعض التماثيل فى المقابر وتمثل هذه التماثيل آلهة الامومة. ويمكن اعتبار دفن البداريين للحيوانات ظاهرة أولى فى تفكير المصريين فى اتخاذهم بعض الحيوانات كرموز لبعض الآلهة. أما من الناحية الصناعية فقد تمكن البداريون من صناعة الادوات الحجرية واستخدموا الفأس النحاسية، هذا بجانب صناعة الفخار ذو القمة السوداء الذى يميز هذا العصر الحضارى. ومن أهم الظواهر التى تميز صناعة الفخار فى مجتمع البدارى وجود علامات مميزة للاوانى الفخارية. وقد استنتج العلماء من وجود هذه العلامات على توصل مجتمع البدارى الى التفكير فى الملكية الشخصية، فهذه العلامات قد وضعها أصحابها كرموز تبين ملكيتهم لهذه الاوانى. وعلى الرغم من تطور الحياة الزراعية والصناعية فى عصر حضارة البدارى وازدياد القرى المنتمية الى هذا العصر فان الاتصال الخارجى ظهر فعلا على نطاق أوسع فى العصور الحضارية التالية وهى عصور حضارات ماقبل الاسرات.

أما العصر الحضارى الممثل لعصر استخدام النحاس والحجر فى العراق القديم فهو حضارة حلف، ويختلف المؤرخون فى أصل هذه الحضارة. وتتجه الاستاذة بركنز PERKINS الى القول باحتمال كون مركز حضارة حلف فى منطقة الموصل شمال شرق

---

(١) G Brunton, and G. Caton - Thompson, The Baderian Civilization, (London, 1928), P. 18.

العراق والى منطقة الخابور فى شرق سوريا . وهناك احتمال آخر وهو ارجاع هذه الحضارة الى أصل أرمينى . والاتجاه التقليدى لدى المؤرخين هو اعتبارها نشأت فى تل حلف ذاته وذلك على أساس أن فخار حلف المميز لهذه الحضارة قد بدأ العثور عليه هناك . ولم تتصل حضارة حلف بمنطقة ايران وذلك لوجود الحواجز الطبيعية وخاصة جبال زاجروس التى عملت على منع حضارة حلف من دخول ايران . وكذلك لم تمتد هذه الحضارة فى جنوب ميزوبوتاميا وذلك لعدم سكنى الجنوب بعد فى ذلك الوقت . ولذلك امتدت هذه الحضارة فى منطقة الموصل وكذلك فى منطقة منجار عبر نهر الخابور وفى منطقة جبل عبد العزيز وغربا فى سوريا حتى منطقة العمق ورأس شمرا وكذلك فى حدود الاناضول الجنوبية الشرقية . ويمثل هذا العصر الحضارى فى مواقع تل حلف وتل الارباشية وتبة كورا وسامرا وتل حسونة ونينوى وتل شاغير بازار وقرقميش . ويؤرخ هذا العصر الحضارى بحوالى ٤١٠٠ ق.م . ويتميز هذا العصر الحضارى بأوانيه الفخارية الملونة التى تمثل تفوقا صناعيا لأصحاب هذه الحضارة فى هذا المجال . وقد دلت الادلة الاثرية الناتجة من هذا العصر الحضارى على صنع الانسان فى تلك الفترة لعدد من التماثيل الصغيرة لالهة الامومة . ولا شك أن القرى قد ازدادت فى هذا العصر بالمقارنة بعصر حضارة حسونة . من ذلك يتبين أن هناك نوع من التشابه النسبى بين كل من حضارة البدارى وحضارة حلف ، فكلاهما بدأ استخدام المعادن وكلاهما أنتج آلهة الامومة وتطورت صناعة الفخار فى كل منهما تطورا كبيرا . وتؤرخ حضارة البدارى بحوالى ٤٥٠٠ ق.م أى أنها تسبق حضارة حلف ، ولكن هذه المسائل التقويمية لم تصل الى نتيجة نهائية فاصلة بعد وتلى عصر استخدام النحاس والحجر عصور ماقبل الاسرات فى كل من مصر وميزوبوتاميا .

ملخص عصور ماقبل الاسرات فى كل من مصر وميزوبوتاميا مع دراسة العلاقات بينهما :

ينقسم هذا العصر فى مصر الى ثلاثة أقسام ، عصر ماقبل الاسرات الأول ويستمر من حوالى سنة ٤٠٠٠ ق.م . الى سنة ٣٦٠٠ ق.م . ويتمثل هذا العصر فى موقعين أثريين هما جرزه والعمره (ونقادة) ويلى عصر ماقبل الاسرات الاول عصر ماقبل الاسرات الاوسط ويستمر من حوالى ٣٦٠٠ الى حوالى ٣٤٠٠ ق.م . ويتمثل أيضا فى كل من جرزه والعمره ونقادة ويمكن تأريخ حضارة المعادى فى الفترة الواقعة بين عصر ماقبل الاسرات الاوسط وعصر ماقبل الاسرات الاخير . وهذا العصر الاخير يستمر من حوالى ٣٤٠٠ الى حوالى ٣٢٠٠ ق.م أو ٣١١٠ ق.م . ويتمثل بصفة خاصة فى جرزه (ونقادة) (انظر الجدول المرفق) .

وبعد ذلك بدأ العصر التاريخى فى مصر بتوحيد مصر وبداية عصر الاسرات الفرعونية وقد أطلق العلماء على عصور ماقبل الاسرات اسم عصر نقادة الاولى بالنسبة الى عصر حضارة

العمره أى عصر ماقبل الاسرات الاول ، ونقادة الثانية بالنسبة لعصر حضارة جرزه • وقد قسم الاستاذ بترى حضارات عصور ماقبل الاسرات تقسيما تاريخيا متتاليا على أساس المقارنة بين مختلف مظاهر انتاج حضارات عصور ماقبل الاسرات وتطور هذا الانتاج •

وتتميز حضارة العمرة بفخارها المحلى بالرسم البيضاء وكذلك الزخارف الهندسية• أما حضارة جرزه الاولى فتميز بفخارها ذو الايدى المموجة ، ذلك الفخار الذى صدر الى مصر من فلسطين • ويمكن القول أن من أهم الظواهر الجديدة فى حياة المجتمع ابتداء من عصر ماقبل الاسرات الاول خروج المجتمع المصرى عن نطاق القرية المحلى الى المجتمعات الخارجية خارج مصر• وهناك عدة أدلة أثرية تثبت هذا الاتصال الخارجى • وقد بلغت هذه الاتصالات ذروتها فى عصر حضارة جرزه الاخير• وان دراسة آثار حضارات الفيوم أ ومرمدة بنى سلامة وحلوان العمرى ودير تاسا تدل على أن مجتمعات هذه العصور الحضارية كانت مجتمعات محلية لحد ما ، فمصر فى ذلك الوقت كانت تملك هذه الحضارات المحلية المنعزلة نسبيا عن بقية حضارات الشرق الادنى القديم • وتطورت هذه الحضارات المحلية فى مصر بدون أى تأثير خارجى • وكان هناك نوع من الصلة والقرابة بين هذه الحضارات داخل نطاق مصر ذاتها وأيضا بينها وبين بعض الحضارات الافريقية وخاصة فى شمال السودان ولكن يصعب التحديد الدقيق لمدى هذه الصلات فى ذلك الوقت لحاجة المؤرخ لكمية أكبر من الادلة الاثرية يستند عليها فى نظرياته • وليس معنى ذلك انعدام الصلات كلية بين مصر وغربى آسيا فى ذلك الوقت ، بل كانت هناك صلات تجارية ولكن على نطاق ضيق نسبيا وانحصرت هذه الصلات فى استيراد الاخشاب السورية مثل خشب الصنوبر وخشب الارز والعرعر والسرو ولكن ليست هناك أى أدلة أثرية على استيراد أى مصنوعات أجنبية ولو أنه يوجد بعض المؤرخين ممن يعتمدون على بعض الادلة فى القول بوجود علاقة حضارية بين مصر وغربى آسيا فى عصر حضارة العمرة ولكن هذا الرأى ليس قاطعا بأية حال من الاحوال (١)• أما فى عصر حضارة جرزه الاخير فهناك أدلة أثرية قاطعة على وجود اتصالات حضارية وتجارية بين مصر والعالم الخارجى •

ويمكن مقارنة فخار جرزه ذو الايدى المموجة بالفخار الفلسطينى المعاصر والذى ينتمى الى عصر استخدام النحاس والحجر الاخير فى فلسطين • ولم يعثر فى مصر على أى تطور فى صناعة هذا النوع من الفخار فى الطبقة الثامنة عشرة فى بيت شان ولذلك يغلب

---

(١) Relative Chronologies in old World Archaeology Chicago, 1954. P. 3.

المؤرخون أن فلسطين كانت المصدر الذى اتصلت به مصر فيما يتعلق بهذا النوع من الفخار. وقد عثر على أمثلة منه أيضا فى عصر حضارة المعادى. وربما ساعد ذلك على تحديد الطريق الذى اتصلت به مصر بالخارج وفى هذه الحالة هو طريق الدلتا. وهناك نوع آخر من الفخار يتميز بمقابضه المائلة والذى يمكن اعتبار ميزوبوتاميا مكانه الاصلى. وقد عثر على أمثلة من هذا الفخار فى كل من مصر وفلسطين فى بداية عصر ماقبل الاسرات. وليس معنى تقسيم عصر حضارة جرزه الى قسمين الاول والاخير أن هذا العصر الحضارى لم يكن موحدا، بل الواقع أن الفترة الاخيرة منه تتميز بصلاتها الحضارية الكبيرة بالعالم الخارجى مما أدى بالعلماء الى تمييزها عن عصر حضارة جرزه الاولى. ويمكن تحديد عصر جرزه الاول بالتأريخ المتتابع من ٤٠ ـ ٥٠ وعصر جرزه الاخير بالتأريخ المتتابع من ٥٠ ـ ٦٠ [1]. وقد زادت الصلات الخارجية فى عهد جرزه الاخير لدرجة يمكن القول عنها أن هذا العصر خرج من النطاق المحلى المصرى الى النطاق الدولى فى منطقة الشرق الادنى القديم أى ليس فى النطاق الافريقى فقط بل فى النطاق الاسيوى أيضا. وقد ساعد ذلك بلا شك على القفز بالمجتمع المصرى الى العصر التالى وهو عصر المدنية المصرية الفرعونية أى بداية العصر التاريخى.

أما عن الصلات الحضارية بين مصر وميزوبوتاميا فى عصر حضارة جرزه الاخير فان المؤرخ يعتمد فى تأييد وجود هذه الصلات الحضارية على أربعة أختام اسطوانية الشكل cylinder seals اثنان منها ثبت تأريخها الى عصر حضارة جرزه الاخير. وقد اعتمد المؤرخون على ذلك فى الاستدلال بأن عصر حضارة جمدة نصر يعتبر معاصرا لعصر حضارة جرزه الاخيرة. هذا بجانب وجود ثلاثة أوانى فخارية بمصر تتميز بآذانها المثلثة الشكل. وهذا النوع من الفخار معروف فى عصر ماقبل الكتابة فى ميزوبوتاميا، وبالاضافة الى الاختام الاسطوانية والاوانى الفخارية هناك بعض الرسومات الميزوبوتامية الطابع قد ظهرت فى مصر فى نهاية عصر جرزه الاخير وبداية العصر التاريخى مثل مناظر الحيوانات المتشابكة وكذلك البطل بين أسدين وغيرها من المناظر الميزوبوتامية، وخاصة ماوجد على مقبض سكين جبل العرق [2].

---

(١) لا يتعرض الكاتب الى وصف تفصيلى لآثار حضارات العمرة وجرزة والمعادى بل يقتصر على دراسة الحضارات المصرية والميزوبوتامية دراسة موضوعية مقارنة مع الالمام بصلاتها الحضارية والتجارية.

(٢) Relative Chronologies in Old world Archaeology, Chicago, 1954, Fig. 1.

هذا بجانب وجود رسومات لسفن ميزوبوتامية على بعض مقابض السكاكين وكذلك صخور الصحراء الشرقية(١). وخاصة فى منطقة وادى الحمامات وهناك أيضا موضوع العمارة ذات الفجوات Niches المنتظمة ، ويواجهها الدارس بصورة واضحة فى عمارة الاسرتين الاولى والثانية فى مصر الفرعونية . ويلاحظ عدم وجود دليل قاطع نهائى حتى الآن فى مصر يبين التطور والانتقال الى مرحلة العمارة ذات الفجوات المنتظمة . ويلاحظ الدارس من ناحية أخرى وجود هذا النوع من العمارة فى ميزوبوتاميا منذ عصر حضارة العبيد . وقد ذهب بعض البحاث بعد دراسة هذه الادلة الاثرية السالفة الذكر الى القول بحقيقة(٢) وجود تأثير ميزوبوتامى على مصر فى نهاية عصور ماقبل الاسرات وكذلك فى بداية العصر التاريخى أى فى مرحلة بداية تطور المدنية المصرية . وقياسا على ذلك ذهب بعضهم الى القول بأسبقية ميزوبوتاميا على مصر فى التوصل الى عدد من العناصر الحضارية ، بل يذهب البعض الى احتمال أسبقية ميزوبوتاميا فى موضوع التوصل الى فكرة التعبير بالكتابة (٣). ويزيد الموضوع صعوبة عدم وجود آثار مصرية فى ميزوبوتاميا فى تلك الفترة . الواقع أن هذه الادلة الاثرية الميزوبوتامية فى مصر يمكن اعتبارها تمثل نوعا من نتائج الصلات التجارية أولا وبالتالى الحضارية بين ميزوبوتاميا ومصر. وقد اتخذت هذه الصلات طريق البحر الاحمر ووادى الحمامات بدلا من طريق الهلال الخصيب فمنطقة الدلتا(٤). وقد غالى المؤرخون بعض الشيء فى القول بأن هذه الادلة الاثرية تثبت أسبقية ميزوبوتاميا بصورة قاطعة على مصر فى نهاية عصور ماقبل الاسرات وبداية العصر التاريخى . والواقع أن هذا الموضوع الخطير لا يزال مجال البحث ولم يصل الى نتيجة نهائية بعد . وتغير نتائج الحفائر الجديدة الكثير من الآراء التقليدية

---

(١) H. A. Winkler, Rock Drawings of Southern Upper Egypt, 1 (London, 1938), Pl xxxix.

(٢) H. Frankfort, The Origin of Monumental Architecture in Egypt, American Journal of Semitic Languages and Literatures, Vol. LVIII Oct. 1941, P. 335.
H. J. Kantor, Further Evidence for Early Mesopotamian Relation With Egypt, Journal of Near Eastern Studies, Vol. XI, Oct., 1952, P. 250.

(٣) J. A. Wilson, The Burden of Egypt, Chicago, 1951, P. 38.

(٤) E. Massoulard, Prehistoire et Protohistoire d'Egypte Paris, 1949. P. 231

التى اتخذها بعض المؤرخين كحقائق نهائية . وقد أعلن أخيرا الاستاذ أمرى W. Emery الذى قام بالحفر فى جبانة الاسرتين الاولى والثانية فى شمال سقارة أن مكان دفن ملوك الاسرة الاولى هو فى سقارة بدلا من منطقة أبيدوس التى حفر فيها الاستاذ بترى فمصر فى عصر حضارة جرزه الاخير وهو آخر مرحلة من مراحل عصور ماقبل الاسرات فى مصر خرجت من نطاقها المحلى الى نطاق التجارة الخارجية وأدى ذلك الى الاتصال بفلسطين وكذلك بميزوبوتاميا .

وقد نشأت الحضارة المصرية من صميم البيئة المصرية(١) منذ عصر انتاج الطعام وتأثر المصرى بهذا العامل المحلى وعبر عن ذلك بكافة طرق التعبير المادى والمعنوى وبالاضافة الى هذا العامل المصرى الاساسى ، استعار بعض العناصر الحضارية الفنية من فلسطين وميزوبوتاميا ، هذا بجانب بعض العناصر الافريقية أيضا . ولم تكن هذه الاتصالات الحضارية والاقتصادية فى شكل غزو حربى بل كانت فى صورة اتصال تجارى وحضارى بحت. وكان ذلك فى فترة نهاية عصور ماقبل الاسرات وبداية العصر التاريخى . وفى عصر حضارة المعادى اتصلت مصر بفلسطين تجاريا وحضاريا أيضا ويمكن اعتبار مجتمع حضارة المعادى متفوقا من النواحى الصناعية ومن النواحى الاجتماعية والروحية (٢).

أما فيما يتعلق بعصور ماقبل الاسرات فى ميزوبوتاميا فهى تتمثل فى عصر حضارة العبيد وفى عصر ماقبيل الكتابة ، أى عصر حضارة الوركاء وعصر حضارة جمدة نصر. ويتميز عصر حضارة العبيد بأنه يظهر فى شمال وجنوب العراق . أما عصر حضارة العبيد الشمالية فقد عثر على آثاره فى تبة كورا الطبقات ١٩ ــ ١٢ وبجزء ، ١٢ ــ ١٠ فى حفرة وتل حسونة ، الطبقات ١١ ــ ١٣ . ويتميز عصر حضارة العبيد بفخاره الملون وكذلك بالتماثيل الطينية الصغيرة . هذا بجانب الاوانى الحجرية والادوات العظمية . وفى تبة كورا عثر الاثريون على مجموعة من المبانى الهامة . فهناك مبانى ومعابد ومنازل ، وهذه الابنية مصنوعة من الآجر ولم يستخدم الحجر الا نادرا . أما فيما يتعلق بالمقابر فقد عثر فى طبقات

---

(١) احمد بدوى ، فى موكب الشمس ، الطبعة الثانية ١٩٥٥ ص٣٩ ومابعدها .

(٢) بحث هذا الموضوع O. Menghin ومصطفى عامر وابراهيم احمد رزقانه .

bO. Menghin and M. Amer. The Excavations of the Egyptian University in the Neolithic Site at Maadi, vols, 1, 11 (Cairo, 1935.).

ابراهيم احمد رزقانه ، الحضارات المصرية فى فجر التاريخ (الاسكندرية فى سنة ١٩٤٨) من ص٢٢٢ ــ ص ٢٤٠ .

ـ كورا أيضا على مقابر للاطفال وربما كان البالغون يدفنون فى جبانات على السطح فى ـقل التل . وفى بعض الاحيان يلاحظ أن هذه المقابر كانت مغطاة بالحصير . أما عن اتجاه ـم المتوفى فهو غير متفق غالبية المقابر . أما فيما يتعلق بعصر حضارة العبيد الجنوبية لاحظ أنها تمثل أقدم حضارة فى جنوب العراق القديم فهى تستقر على الارض البكر مباشرة . ـم مواقع هذا العصر الحضارى تل أبو شهرين (اريدو) ويمثل مجموعة من المعابد فى طبقات ١٨ ـ ٦ بالاضافة الى جبانة . وتل العبيد ويمثل بقايا قرية وعدد من المقابر أيضا ، ـذلك مواقع أور والحاج محمد بجانب الوركاء . ومن أهم مايميز حضارة العبيد الجنوبية ـخار الملون ويميل لونه الى البنى أو الاحمر . أما عن الرسومات الموجودة على الفخار فى ـندسية الشكل . وهناك أيضا التماثيل الطينية هذا بجانب الادوات الحجرية وخاصة ـمناجل الطينية التى على شكل الهلال ، وكذلك الاوانى الحجرية . ومن أهم آثار حضارة ـعبيد الجنوبية الآثار المعمارية وتتمثل فى مجموعة كبيرة من المعابد . وهناك ارتباط ـتشابه كبير بين حضارة العبيد الشمالية وحضارة العبيد الجنوبية بما يؤيد انتمائهما الى ـصر حضارى واحد . ويبدو أن أصل هذه الحضارة قد جاء من ايران[١] الى جنوب ـبزوبوتاميا . وقد امتدت هذه الحضارة شمالا وجنوبا . وهذه الحقيقة تعطى هذا العصر صفة ـحضارية جامعة للعراق القديم شماله وجنوبه . وبعد عصر حضارة العبيد احتفظ جنوب ـلعراق القديم بالاولوية الحضارية على الشمال والعصر الحضارى التالى لعصر حضارة ـلعبيد يعرف بعصر ماقبيل الكتابة Protoliterate Period أى العصر الذى ـبدأ فيه المجتمع فى التعرف بصورة أولية على التعبير عن أفكاره ولوازمه فى الحياة بواسطة ـعدة رموز[٢]. وينقسم هذا العصر الى قسمين أساسيين ، عصر حضارة الوركاء وعصر حضارة ـجمدة نصر ويتمثل عصر حضارة الوركاء فى المواقع التالية ، الوركاء وأور والعبيد . ومن أهم الآثار المعمارية من موقع الوركاء أحد التلال فى المربع رقم Kxvll والذى سماه الاثريون زاقورات آنو اله السماء . والواقع أن هذا البناء لايصح اعتباره زاقورات بل هو عبارة عن برج مدرج ، وكذلك لايوجد دليل يبين أن هذا البناء قد شيد للاله آنو ، وقد بنى هذا المعبد من الآجر . ومن المعابد الشهيرة أيضا ماسمى بالمعبد الابيض فى موقع الوركاء ويتميز هذا المعبد كمعابد عصر حضارة العبيد بوجود الفجوات المنتظمة فيه . ولم يعثر فى مواقع الوركاء وجمدة نصر على مقابر تنتمى الى عصر حضارة الوركاء . اما فى كل من أور وخفاجه فقد عثر على بعض

(١) A.L. Perkins, The Comparative Archaeology of Early Mesopotamia, (Chicago, 1949) P. 96.

(٢) I. J. Gelb, A Study of Writing, (London, 1952), P. 63.

مقابر صغيرة تنتمى الى هذا العصر. وقد أنتج هذا العصر الحضارى عدة صناعات حجرية ومعدنية مثل الاوانى الحجرية وكذلك هناك الاختام الاسطوانية وأدوات الزينة . أما من ناحية النحت على الحائط والنحت المستدير فيمكن القول بأن أقدم أمثلة تبين ذلك تنتمى الى عصر حضارة الوركاء . ويؤرخ عصر حضارة الوركاء بحوالى ٣٦٠٠ ق.م. والعصر الحضارى التالى له هو عصر ماقبيل الكتابة فى مرحلته الاخيرة أى عصر حضارة جمدة نصر. وهذا العصر الحضارى يعتبر من أهم العصور الحضارية فى الشرق الادنى القديم فهو يمثل المرحلة الاخيرة فى عصور ماقبل الاسرات فى ميزوبوتاميا ، وقد أنتج هذا العصر الحضارى أمثلة متفوقة فى العمارة ذات الفجوات المنتظمة . وقد عثر أيضا على عدد من اللوحات الطينية التى تحمل بعض الرموز الصورية وهذه الرموز مهدت بطبيعة الحال الى الكتابة المسمارية فى بداية العصر التاريخى . ومن أهم مايسترعى انتباه المؤرخ أن موضوعات هذه النصوص الاولى تتصل بعمل حسابات مختلفة منها مايخص المعابد . وهذه الحقيقة تبين بوضوح اتصال النواحى الاقتصادية بتطور الكتابة . ويعتبر ذلك تمهيدا قاطعا للعصر التالى فى تاريخ الانسانية فى الشرق الادنى القديم وهو العصر التاريخى أو عصر المدنية .

ويمكن القول أن التوصل الى الكتابة قد خلق نوعا جديدا من الحياة فى المجتمع وساعد ذلك على تنظيم مختلف النواحى السياسية والاقتصادية ، ومن الناحية السياسية كانت ميزوبوتاميا تتكون فى هذه الفترة من عدد من المدن ، كل واحدة منها تحكمها حكومة معينة . ولم تصل ميزوبوتاميا الى مرحلة الوحدة السياسية الكاملة فى ذلك الوقت ، ولكن مصر تمكنت فى بداية العصر التاريخى من توحيد مصر العليا والسفلى والظهور كوطن واحد ذو حكومة واحدة . وقد اتجه بعض المؤرخين وخاصة T. Jacobsen الى القول بأن ميزوبوتاميا فى مرحلتها الاولى هذه أى فى نهاية عصر ماقبيل الكتابة وبداية العصر التاريخى توصلت الى نوع من التفكير "الديموقراطى البدائى"(1) فى نظام الحكم . وهذا النوع من التفكير نشأ مع تطور التفكير الجماعى أثناء مرحلة التحكم فى مياه الانهار مما أدى الى ضرورة وجود نوع من التنظيم الاجتماعى للمجتمع . وكان لعامل البيئة أثره الكبير فى تطور هذا التفكير وانعكاسه بصورة عملية فى نظام الحكم . فكانت لكل مدينة جمعية عمومية من رجالها الاحرار البالغين وهناك أيضا مجلس للاكابر ، وفى وقت الازمات يعين رئيس أو ملك . والواقع أن ذلك النظام كان فى صميم العصر التاريخى ولكن يبدو أنه بدا فى التكوين قرب نهاية

---

(1) T. Jacobsen, Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia," Journal of Near Eastern Studies, vol. 2, July, 1943.

عصر ماقبيل الكتابة . ويؤرخ هذا العصر الحضارى الهام بحوالى سنة ٣٥٠٠ ق.م . وهناك أدلة تبين أن أصحاب هذا العصر الحضارى هم السومريون . وهناك أيضا بعض الادلة اللغوية على وجود بقايا لغة ماقبل السومرية فى ذلك الوقت فى جنوب ميزوبوتاميا .

وقد سبقت الاشارة الى الاتصالات الحضارية والتجارية التى حدثت بين مصر فى عصر حضارة جرزه الاخير وبين العراق القديم فى عصر ماقبيل الكتابة . ولا شك أن الحفائر فى المستقبل ستضيف الكثير من الحقائق فى هذا الموضوع . والوصول الى نتائج نهائية فى هذه المرحلة من حيث القول بأسبقية العراق القديم على مصر فى الانتقال بالانسانية الى مرحلة المدنية لا يزال فى حاجة الى تدعيم نهائى بالادلة المختلفة . وقد تفوقت كل من مصر والعراق القديم فى بعض النواحى الحضارية . ومن الناحية التقويمية لا يزال هذا الموضوع أيضا فى حاجة الى اعادة النظر فيه .

أما عن كيفية بداية العصر التاريخى فى كل من مصر والعراق القديم ، فقد جاء ذلك كنتيجة طبيعية لمختلف نواحى التطور المادى والفكرى وظهر ذلك فى مصر بالوصول الى مرحلة الوحدة السياسية الكاملة وبها تبدأ الاسرة الاولى المصرية الفرعونية .

أما فى العراق القديم فقد اتخذ السومريون حادثة الفيضان كعامل تاريخى هام فى تاريخ الملوك السومريين . وقد قسمت وثيقة الملوك السومرية الملوك السومريين الى ملوك ماقبل الفيضان ، وملوك مابعد الفيضان ومن الناحية الاثرية هناك أدلة أثرية تبين حدوث فيضان قرب نهاية عصر حضارة جمدة نصر . وهذه الحادثة لها أهميتها لان ذلك العصر هو الذى سبق بداية العصر التاريخى مباشرة . وظاهرة الفيضان مستمرة بصورة واضحة فى جنوب العراق القديم . ومن الفيضانات الشهيرة ماحدث فى عصر حضارة العبيد وقد وجد الاستاذ وولى L. Woolley طبقة من الطين النظيف خلال الطبقة الخاصة بحضارة العبيد فى أور . واستمر وولى فى الحفر فعثر بعد ذلك على أدلة أثرية من عصر حضارة العبيد أيضا ، فعلل وجود طبقة الطين النظيف هذه أو الطمى أنه يعتبر دليلا على حدوث فيضان فى هذه المنطقة فى ذلك الوقت . وقد تحدثت الاساطير السومرية على ظاهرة الفيضان هذه . وهناك أيضا نوع من التشابه الموضوعى النسبى بين وثيقة الملوك السومريين وبين النص العبرى الخاص بالعشرة أسلاف من آدم الى نوح .

من ذلك كله يتبين أن الشرق الادنى القديم ، وخاصة ميزوبوتاميا ومصر ، قام بدور هام فى تاريخ الانسانية ، فى الفترة السابقة للعصر التاريخى ، قبل أى مكان آخر فى العالم ، فقد تمكن الانسان فى كل من مصر والعراق القديم من الانتقال بالحياة الانسانية من جمع الطعام

،انتاجه وأيضا في الانتقال الى عصر المدنية . ويلاحظ المؤرخ أن الاسس الاولى التى قـــام
بها التطور في حضارات عصور ماقبل الاسرات في مصر وميزوبوتاميا ، كونت في الواقع الاســـاس
ادى والفكرى للمدنيات المصرية والسومرية والأكادية في بداية العصر التاريخى . وفيما يلـــى
إمة الموقف الحضارى في الاقليم السورى قبل بداية العصر التاريخى .

الاقليم السورى في عصور ماقبل التاريخ ابتداء من مرحلة العصر الحجرى الحديث حـــتى بدايـــة العصـــــر التاريـــخى

فأول حقيقة تواجه الدارس لطبيعة منطقة الشرق الادنى القديم وخاصة منطقـــــــة
الهلال الخصيب هى وجود نهرى دجلة والفرات في الشرق ونهر النيل في الجنوب الغربـــى
نهرى الاردن والعاص بينما أى بمعنى آخر تكون منطقة سهلية نسبيا خصبة تشـــــــبه
الهلال في شكلها ، وعلى الرغم من اختلاف طبيعة هذه الانهار من حيث مواعيد فيضانها ومدى
انتظامها الا أنها كانت بمثابة نوع من القوى الطبيعية التى واجهت الانسان والتى لمـــــس
اء مراسل كفاحه معها بعض الظواهر الطبيعية الاخرى مثل ارتباط هذه الانهار بالحيـــاة
الزراعية البرية على جانبى النهر وارتباط هذه المياه بطبيعة الحال بحياة الحيوان والانســان
والنبـــات .

وبعد عدة تجارب وكفاح بين الانسان والبيئة أو بصفة خاصة هذه الانهار نجح فـــى
التعرف على بعض اسرار هذه الطبيعة وهى كيفية نمو وازدهار الحياة الزراعية ونجح فـــى
اكتشاف الزراعة وكان هذا النجاح بمثابة ثروة خطيرة في حياته الجديدة التى لم يألفهـــا
، قبل . توصل الانسان الى ذلك الاكتشاف في حوالى الالف السادس ق.م . ولـــم
تقتصر هذا التوصل على مصر أو العراق القديم بل ايضا توصل اليه الانسان في سوريا وفلسطين
وايران في نفس الوقت وعلى ذلك فقد كانت القدرة الحضارية بين مختلف مناطق الشـــرق
الادنى القديم موجودة منذ البداية . وعلى الرغم من وجود هذا التشابه في مختلف اجـــزاء
هذه المنطقة الا أن هذه القدرة الحضارية في التوصل الى حياة الاستقرار والانشاء كانـــت
نابعة من البيئة المحلية واختلفت من حيث تطورها من منطقة لاخرى .

وسوريا تمثل جزءا هاما في هذه المنطقة منطقة الهلال الخصيب واستمرت في أهميتهـا
في هذه المنطقة حتى الوقت الحاضر فهى جزء رئيسى متوسط بين أجزاء هذه المنطقــــة
الشرقية وأجزائها الغربية ، ولذلك كانت سوريا منذ البداية تمثل نوعا من حلقة الاتصال بــين
محورى المنطقة الرئيسيين وهما مصر والعراق القديم .

وتعبير سوريا هنا لا يقصد به الاقليم الذى تحدده الحدود السياسية الحالية المقصود بسوريا هو سوريا بحدودها الطبيعية التى تمد شمالا حتى جبال طوروس فى منطقة قيليقيا وجنوبا حتى شمال فلسطين وغربا يحدها البحر الابيض المتوسط متضمنة اقليم الاسكندرونة بطبيعة الحال وشرقا نهر الفرات واقليم الجزيرة . وقد كان لموقعها هذا أثره البالغ فى تشكيل وتوجيه تاريخ وحضارة الاقليم السورى ، فسوريا تحدها من الشرق منطقة ميزوبوتاميا ذات المكانة السياسية والحضارية منذ العصر الحجرى الحديث وأثناء العصر التاريخى ، ومن الشمال منطقة الاناضول مركز المدينة الحيثية أثناء الالف الثانى ق.م. ، ومن الجنوب فلسطين ومصر بطبيعة الحال ذات المدينة الفرعونية الاصيلة . وعلى ذلك فسوريا تقع بين هذه المراكز الحضارية السالفة الذكر وكان لا بد أن تتأثر بها فى صورة مباشرة ، أو غير مباشرة . والدارس لتاريخ سوريا منذ العصر الحجرى الحديث وأثناء العصر التاريخى يلمس تماما هذا الاتصال الكامل بين سوريا من ناحية وبين هذه القوى الحضارية والسياسية المجاورة لها من ناحية أخرى . ولذلك لم تتمكن سوريا من تكوين دولة سورية ذات كيان سياسى مستقل بمعنى الكلمة — باستثناء بعض الفترات — لان طبيعة وجودها بين هذه القوى المحيطة جعلتها بمثابة امتداد طبيعى لمحورى الهلال الخصيب . ولا تقتصر الصلة المستمرة فى تاريخ سوريا فيما بينها وبين بقية أجزاء الشرق الادنى القديم على الناحية السياسية والناحية الحضارية والناحية الاقتصادية بل أيضا على الناحية البشرية ، فقد تميزت منطقة الشرق الادنى القديم بوجود عدد من التحركات البشرية السامية والهندية الاوروبية فى فترات مختلفة وكانت بعض هذه التحركات تمر بالاقليم السورى تاركة بعض العناصر والتقاليد الحضارية المختلفة التى تنتمى الى هذه العائلات البشرية التى مرت أو استقرت فى هذا الاقليم .

وتاريخ سوريا منذ العصر الحجرى الحديث واثناء العصر التاريخى يعتبر صورة واضحة لهذه الملاحظات السالفة الذكر من حيث صلته الكاملة بالمناطق المحيطة بالاقليم السورى سواء كان ذلك من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الحضارية أو البشرية .

وليس معنى ذلك عدم وجود شخصية حضارية سورية مستقلة ، فالدارس لهذا الاقليم يلمس وجود هذه الشخصية فى بعض الصناعات والفنون المحلية ولكنها فى جزء كبير من تاريخها تأثرت بالعناصر الحضارية والسياسية القوية المجاورة لها — ولا يقتصر اتصال سوريا الخارجى على مصر والعراق القديم والاناضول بل أيضا هناك اتصالها بفلسطين وقبرص وكريت ، فهى تمثل احدى النوافذ التى أطلت منها حضارة كريت بعض العناصر الميزوبوتامية والايرانية .

ويبدأ الكاتب دراسته الموجزة عن هذا الاقليم بدراسة حضارات ماقبل التاريخ ابتداء من العصر الحجرى الحديث حتى بداية العصر التاريخى .

قام علماء الآثار والانثروبولوجيا والتاريخ القديم بالبحث فى الاقليم السورى عن أقدم مراحل الاستقرار أو بمعنى أصح أقدم القرى فى هذا الاقليم . واتجه العلماء فى بحثهم هذا الى المناطق المتاخمة للانهار أو تجمعات المياه على أساس احتمال نشأة القرى الاولى فيها أو بالقرب منها . ومن هذه المناطق منطقة تقع فى شمال سوريا قرب مصب نهر العاصى وهى منطقة العمق Amouq، وهى منطقة جمعت بين السهول والاودية والمستنقعات والتلال، وعلى الرغم من أن هذه المنطقة توجد بها بحيرة فى الوقت الحاضر تعرف باسم بحيرة العمق الا انه فى العصور القديمة لم يكن لها وجود كما أن المستنقعات الحالية المحيطة بالمنطقة لم يكن لها أيضا وجود فى تلك الفترة . وهذه المنطقة كانت من أهم مناطق الاستقرار الاول فى سوريا . ويبلغ عدد التلال التى تمثل بعض مراحل الاستقرار فى هذه المنطقة بحوالى المئتى تل . ولم يقتصر الانسان على الاستقرار فى هذه المنطقة فقط بل هناك مناطق أخرى فى مرسين وطرسوس فى منطقة قيليقيا، وهناك أيضا مناطق حماه ورأس شمرا (أوكاريت) وجبيل وقرقميش (جرابلس) . وسيقتصر الكاتب هنا على دراسة منطقة العمق .

وقد اتخذ بعض العلماء هذه المنطقة بالذات كنموذج يبين فى دراسة طبقات تلالها التطورات الحضارية منذ مراحل الاستقرار الاولى . وفى الجدول المرفق بيان هذه المراحل منذ العصر الحجرى الحديث حتى بداية العصر التاريخى مع ذكر المراحل المعاصرة لها فى كل من مصر والعراق القديم وفلسطين .

وأول ملاحظة فى دراسة الانتاج الحضارى منذ العصر الحجرى الحديث هو وجوده فى طبقات التلال، كل طبقة منها تمثل مرحلة من مراحل الاستقرار، هذه الظاهرة ظاهرة الطبقات هى التى يتبعها العلماء فى دراسة مختلف نواحى التراث الاثرى فى منطقة جنوب غربى آسيا بصفة خاصة لكثرة التلال والاكوام والثبات فيها والتى تمثل تاريخ الانسان فى هذه المنطقة مجسما فى صورة أدلة أثرية مختلفة . ويعمل علماء الآثار فى دراسة طبقات هذه التلال التى أقدم من الطبقات وهى المتاخمة مباشرة للارض البكر أى التى لم يحدث عليها أى استقرار .

وأول هذه الطبقات فى بعض تلال منطقة العمق تمثل مرحلة الثورة الصناعية الاولى أو بالاحرى مرحلة العصر الحجرى الحديث أى مرحلة التوصل الى الزراعة والاستقرار وبناء أول قرية فى الاقليم، وهذه المرحلة تعرف باسم العمق أ وقد اتبع العلماء

ا التقسيم الابجدى لحضارات الانسان على أساس تسهيل مهمة الباحث فى تقسيمها
بعنى شيئا آخرا غير كونه تعبيرا متداولا بين علماء مجتمعات ماقبل التاريخ . وقد عثر
ريون ضمن آثار هذه المرحلة الاولى على بقايا الآثار المعمارية وهى المنازل ويلاحظ أنها
ت مبنية من الحجر وفى بعض الحالات المنتمية الى هذه المرحلة والتى عثر عليها فى مرمسين
ت مبنية من اللبن ، كما كانت هناك معالم الاستقرار أيضا ليس فقط فى هذه الآثار المعمارية
فى الكهوف التى قطن الانسان على أرضيتها وترك آثاره ومخلفاته فيها . وهذه المبانى
اتخذت الشكل الاقرب الى المستطيل ويلاحظ أيضا أن أرضية حجراتها تمد طليت
بير . ولا يمكن للمؤرخ ازاء هذه الحقيقة أن يغفل ماسبق أن لمسه فى مجتمعات
لك أ فى ايران وجارمو وتل حسونة فى العراق ، ومرمدة بنى سلامة فى مصر من حيث توصلها
عا الى مرحلة الاستقرار الاول ، ولكن مع احتفاظ كل منطقة بوحدتها الحضارية
زاتها المستوحاة من البيئة المحلية فى ذلك الوقت .

وبجانب هذه الآثار المعمارية هناك آثار الصناعة الزراعية التى صنعها الانسان
جته اليها فى مجتمعه الزراعى الجديد وأهم هذه الآثار الفئوس والمناجل الحجرية
جران والمخازن . وعلى الرغم من العثور على جميع هذه الادلة الاثرية التى تثبت توصل
سان الى مرحلة الزراعة الا أنه لم يعثر فى طبقات هذه المرحلة على القمح . ومن أهم
الانسان فى هذه المرحلة أيضا الصناعة الفخارية وصناعة الادوات والاوانى الحجرية
بظمية . وعلى الرغم من وجود دلائل الاستقرار وانشاء قرى الاولى فى هذه المرحلة
، مرحلة العصر الحجرى الحديث الا أن هذه القرى الاولى ليست بالدرجة الكاملة
، وصلت اليها كلا من مصر والعراق القديم فلم يعثر على أى آثار مقابر فى هذه الطبقة
انه من ناحية أخرى هناك اتجاه من بعض المؤرخين يميل الى اعتبار بداية وجود نوع
التأثير الحضارى "ميزوبوتامى فى مصر حضارة تل حسونة فى نهاية هذه المرحلة الحضارية
أثناء المرحلة الحضارية الثانية العمق ب . وهذه المرحلة الثانية العمق ب تعتبر تكملة
ور الانسان فى المرحلة السابقة . وتجدر الاشارة هنا الى موضوع هام وهو مدى أصالة
ه الحضارة فى هذه المرحلة وما يليها . وهذا الموضوع فيما يتعلق بسوريا يظهر منذ
ـاية أى منذ المرحلة الحضارية الاولى لان هذه المرحلة تمثل أول مراحل تكون الحضارة
متقرة معتمدة على الامكانيات المحلية سواء كان ذلك يتعلق بحضارة العصر الحجرى
ديث فى مصر أو حضارة هذا العصر فى العراق القديم ، ولكن على الرغم من توفر هذا
امل المحلى فى الحضارات السورية الا انه يظهر بوضوح عامل التأثيرات الاجنبية
تأثيرات مصر حضارة تل حسونة فى صميم المرحلة الثانية وتأثير حضارة حلف فى المرحلة

الحضارية الثالثة وتأثير حضارة العبيد الشمالية في المرحلة الحضارية الخامسة العمق هـ وهكذا . وليس معنى ذلك عدم أصالة هذه الحضارة بل اعتمادها على عدد من المؤثرات الاجنبية في مراحل تكوينها بالاضافة الى التأثيرات المحلية الصرفة . وتلي هذه المرحلة الحضارية الثانية المراحل التالية وهي العمق جـ ، والعمق د ، والعمق هـ ، والعمق و كما هو موضح بالجدول التقويمي المقارن الملحق .

وفي هذه المراحل جميعا وفي المراحل السابقة للعصر التاريخي الذي تميزه المرحلة السابعة ز ، ساير الانسان في سوريا التطورات الحضارية التي بزغت في كل من مصر والعراق القديم بصفة خاصة وذلك فيما يتعلق بالصناعات الفخارية والصناعات الحجرية وعمليات بناء المنازل والمخازن وغيرها من دلائل الاستقرار ، وعلى سبيل الذكر بدأ استعمال عجلة الفخار في المرحلة الحضارية السادسة العمق و ، كما بدأ أيضا استخدام الآجر المنتظم في البناء في المرحلة السابقة مباشرة للعصر التاريخي .

ومن المهم الاشارة هنا الى ظاهرة ميزت نهاية عصور ماقبل الاسرات وبداية العصر التاريخي في الشرق الادنى القديم هذه الظاهرة هي الصلات الدولية في المجال الاقتصادي والتجاري والحضاري في منطقة الشرق الادنى القديم . وهذه الناحية الدولية ظهرت بصفة خاصة في العصر المعروف باسم ماقبيل الكتابة في مرحلته الاخيرة أي في مرحلة عصر حضارة جمدة نصر المعاصرة لعصر حضارة جرزة الاخيرة أو نقادة الثانية في مصر والمعاصرة للمرحلة الحضارية العمق و في سوريا وقد ظهر نوع من الصلات الحضارية والتجارية أيضا بين ميزوبوتاميا ومصر متخذة الطريق البحري في تحقيقها والصلات الحضارية والتجارية أيضا بين فلسطين ومصر خاصة في عصر حضارة المعادى . وموقف سوريا في هذا العصر الدولي المبكر والسابق مباشرة للعصر التاريخي هو الاشتراك في هذه الصلات والتأثيرات الدولية وخاصة من ناحية ميزوبوتامية وأيضا مصر . وهذه الصلات تتطور في العصر التاريخي على نطاق واسع .

وفيما يلي دراسة للمراحل السابقة للعصر التاريخي في الهضبة الايرانية .

<u>دراسة حضارات ايران في عصور ماقبل التاريخ ابتداء من مرحلة العصر الحجري الحديث مع مقارنتها بميزوبوتاميا ومصر :</u>

عاش الانسان في هذه البيئة الايرانية الجبلية ، وبصفة خاصة في أعلى الهضبة واتجه الى سكنى الاودية بعد ذلك ، وخلال حياته في هذه المناطق مر بمراحل تطور حياة

الانسان من العصر الحجرى القديم أى عصر جمع الطعام الى مرحلة الثورة الصناعية الاولـــــى أى التوصل الى بداية الزراعة والاستقرار وانتاج الطعام وصنع الادوات الزراعية . وقـــد أ دى ذلك الى وجود سلوك انسانى جديد يتصل بنواحى تفكيره فى مجتمعه الجديد . وأدت هــذه الثورة الصناعية الاولى التى ظهرت لاول مرة فى حياة الانسان فى منطقة الشرق الادنى القديـــم وخاصة فى العراق القديم ومصر وكذلك فى شمال سوريا وايران . أقول أدت هذه الثـــورة الى الانتقال بحياة الانسان الى العصر المعروف باسم العصر الحجرى الحديث أو عصر انتـــاج الطعام . وعلى ذلك يتبين أن ايران كان لها دورها البالغ فى هذه المرحلة الاولـــى من مراحل استقرار الانسان . فالدراسة المقارنة للانتاج الانسانى لحضارات كل من مصر وميزوبوتاميـــا وسوريا وايران تبين أن ايران قد قدمت الى الانسانية عدة أدلة تبين امكانياتها الحضاريـــة فى تلك المرحلة الهامة من حياة الانسان ومن أهم مميزات ايران فى تلك المرحلة وهى مرحلـــة العصر الحجرى الحديث هى توصلها لاول مرة فى حياة الانسان الى استخدام معدن النحـــاس على الرغم من عدم توصل الحضارات الاصيلة المجاورة مثل حضارات العصر الحجرى الحديـــث فى ميزوبوتاميا ومصر وسوريا الى استخدام هذا المعدن أثناء هذا العصر الحضارى بـــل استخدم فى المرحلة التالية المعروفة بعصر استخدام النحاس والحجر وهى المســــماة Chalcolithic وتوصل العلماء الى هذه الحقيقة الهامة بعد مقارنة الادلة الاثريـــة فى أقدم مراكز حضارات العصر الحجرى الحديث فى منطقة الشرق الادنى القديم . وفيما يلـــى ملخص لهذه الدراسة المقارنة .

من ناحية الآثار النباتية يمكن تلخيصها فى الجدول التالى (١) بالنسبة لحضـــارات الفيوم أ ومرمدة بنى سلامة فى مصر وجارمو وحسونة فى العراق القديم وجديدة فى ســـوريا وسيالك فى ايران :

المكـــان	القمح	المناجل	الاجران	مخازن قمح	نثورس
الفيوم أ ومرمـــدة وحلوان العمـــرى ودير تاســـا	W؟	✓	✓	✓	✓
جديـــدة	—	✓	✓	✓	✓
حســـونة	[illegible] (٢)	✓	✓	✓	✓
ســـيالك I	—	✓	✓	—	✓

---

(١) R. Braidwood, Prehistoric Man, Chicago, 1948, p. 93

(٢) [illegible] معنى هذه العلامة يحتمل وجوده .

ومن هذا الجدول يتبين أن حضارة سيالك I قد تمكنت من التوصل الى صناعة الادوات المتصلة اتصالا مباشرا بالزراعة مثل المناجل والاجران ٠

وقد اتجه الاستاذ R. Chirshman (جيرشمان)[1] الى القول بأن القمح كان ينمو فى ايران بصورة برية وربما أدت كثرة نموه هذا الى انتشاره فى الاقطار المجاورة ومنها مصر، والواقع أن مصر قد توصلت الى انتاج القمح أى الى زراعته توصلا محليا صرفا فى عصر حضارة الفيوم أ كما تدل على ذلك الادلة الاثرية التابعة لهذا العصر الحضارى ٠ أما فيما يتعلق بعدم العثور على القمح المزروع فى عصر حضارة سيالك I ربما يتخذه بعض المؤرخين كدليل على عدم توصل مجتمع حضارة سيالك I الى مرحلة الانتاج الزراعى ٠ ولكن من ناحية أخرى تجدر الاشارة الى أن هذا المجتمع قد توصل الى صناعة الادوات المتصلة بالزراعة مثل المناجل والفئوس ٠ هذا مع العلم أيضا بأن هذه الادوات الزراعية يمكن استخدامها لحصد وقطع النباتات البرية ٠ وعلى ذلك لا يمكن الجزم بأن عصر حضارة سيالك I قد توصل فعلا الى مرحلة الانتاج الزراعى لعدم وجود المحصول الزراعى ذاته ٠ ولكن تفوق هذه الحضارة فى الصناعات الفخارية وصناعة الادوات الزراعية بجانب انفرادها باستخدام المعادن كأول حضارة فى هذا المجال أثناء مرحلة العصر الحجرى الحديث فى منطقة الشرق الادنى القديم، أقول تفوق هذه الحضارة ليؤخذ دليلا على احتمال توصلها الى زراعة القمح رغم عدم العثور عليه حتى الآن ـ ربما لاسباب ترتبط برطوبة الجو ٠

ويمكن تلخيص كل من الآثار الحيوانية والمعدنية والصناعية فى الجدول التالى :ـ

المكان	الاغنام	الكلب	الخنزير	الماشية	الفخار	النحاس	منسوجات	دبابيس	ادوات عظمية	التماثيل
الفيوم أ مرمدة حلوان ديرتاسا	✓	✓	✓	✓	✓	—	✓	✓	✓	—
جديدة	—	—	✓	✓	✓	—	—	✓	✓	—
حسونة	✓	—	✓×	✓	✓	—	—	—	✓	✓
سيالك	✓	—	—	✓	✓	✓	—	✓	✓	✗

من ذلك يتبين أن سيالك قد تمكنت من التوصل الى صناعة الاوانى الفخارية والادوات

(١) R. Chirshman, Iran, (Great Britain), 1954, P. 35.

✓× معنى هذه العلامة يحتمل وجوده

ـية والنحلسية والحجرية • ومن ناحية البقايا الحيوانية عثر على بقايا الاغنام ويحتمـــل الابقار ، وهذا يجعل عصر حضارة سيالك I في مستوى قريب جدا من مستوى حضـــارة (أ) ومرمدة بني سلامة في مصر وجديدة في سوريا وتل حسونة في العراق القديـــم • ـة بقايا الادلة الاثرية في هذه الحضارات تدل على تمكن حضارة ما الى التوصل الـــى الانتاج الحضاري بينما لم تتوصل حضارة أخرى معاصرة الى بعض هذه النواحـــي ا لا يمنع من احتمال العثور على أدلة أثرية أخرى يستكمل بها المستوى الحضـــاري در هنا اعادة ذكر الحقيقة الخاصة بتوصل عصر حضارة سيالك I الى مرحلة استخدام معدن ماس في الصناعة قبل غيرها من الحضارات المعاصرة مما يعطي هذا العصر الحضاري نوعـــا الاولوية تؤخذ في الاعتبار عند دراسة هذه الحضارات بصورة مقارنة •

أما من ناحية بقايا الآثار المعمارية فيمكن القول بأن جميع هذه الحضارات الســـابقة توصلت الى مرحلة بناء المنازل وبالتالي انشاء القرى مما يؤكد توصلها جميعا الى مرحلـــة ستقرار الكامل الذي يتميز به العصر الحجري الحديث •

يتبين من هذه الدراسة المقارنة لبعض حضارات العصر الحجري الحديث في منطقـــة رق الادنى القديم أن عصر حضارة سيالك الاولى يعتبر أقدم مرحلة استقرار في الهضبـــة يرانية • وقد سمى هذا العصر عصر سيالك 1 نسبة الى تبة سيالك الموجودة في شـــمال ط الهضبة الايرانية • وتوجد حضارات أخرى تمثل مرحلة العصر الحجري الحديث فـــي هضبة الايرانية بجانب سيالك 1 مثل عصر حضارة باكون 1 ومثل حضارة كشمة علـــى 1 أ تي تمتد أيضا خلال عصر استخدام النحاس والحجر أي المرحلة التالية للعصر الحجـــري حديث • وهناك حضارة جيان V أ • (انظر الجدول التقويمي المقارن المرفق) • وكذلـــك أنظر الخريطة المبينة لمواقع عصور ماقبل الاسرات في الهضبة الايرانية والمناطق المحيطة) •

ولقد مرت ايران كما سبقت الاشارة بمراحل التطور الحضاري السابقة للعصر التاريخـي ي بمراحل العصر الحجري الحديث وعصور ماقبل الاسرات مما مهد الى بداية العصر التاريخـي خاصة في منطقة عيلام في نفس الوقت الذي بدأ فيه العصر التاريخي في العراق القديـــم تقريبا • ويمكن تتبع حضارات عصور ماقبل التاريخ في الهضبة الايرانية في كل موقع من مواقـــع هذه الهضبة أي طبقات التلال الموجودة في المنطقة • ولكن يقتصر الكاتب هنا على معالجـــة انتاج هذه المواقع الحضارية بطريقة موضوعية • وعلى ذلك يمكن حصر الانتاج الحضـــاري الايراني ابتداء من العصر الحجري الحديث حتى نهاية عصور ماقبل الاسرات في المراحـــل الآتية • وتقابل هذه المراحل العصور الحضارية المعروفة في مصر والعراق القديم ابتداء مـــن

العصر الحجرى الحديث حتى نهاية عصور ماقبل الاسرات . ويجدر بالباحث هنا أن يذكر أن منطقة الشرق الادنى القديم تكون وحدة حضارية هامة فى حياة الانسان وقد اعتبر المؤرخون كل من مصر والعراق القديم كمحورين أساسيين فى هذه المنطقة يمكن قياس المستوى الحضارى فى هذه المنطقة على أساسهما . وعلى ذلك يتجه الكاتب الى مقارنة المادة الاثرية فى حضارات الهضبة الايرانية بانتاج كل من مصر وميزوبوتاميا حتى يمكن وضع انتاج حضارات ايران فى مكانها المناسب بين حضارات بقية منطقة الشرق الادنى القديم .

ففى كل من مصر والعراق القديم بدأت مرحلة الاستقرار تظهر على حافة الهضاب المؤدية الى أودية الانهار . وتمكن الانسان فى هذه المرحلة من صنع الادوات اللازمة له فى حياته الجديدة الزراعية والصناعية وكان اتصاله الخارجى فى ذلك اتصالا محدودا مما أدى الى اعتماده على تجاربه الجديدة فى بيئته التى استقر فيها بالاضافة الى بعض التجارب المتوارثة قبل استقراره فى هذا المكان . وقد أعطى ذلك الى حضارته فى تلك المرحلة الطابع المحلى الصرف مما أدى الى تميز كل منطقة من المناطق بطابعها الحضارى الخاص بها . ثم بدأت بعد ذلك هذه الحضارات فى الاتصال بعضها بالبعض الآخر والنمو تدريجيا الى أن تمكنت من اتخاذ طابع أوسع نطاقا من طابع المنطقة المحلية الصرفة . فقد نمت القرى والمدن الصغيرة بدرجة أوسع نطاقا من قبل ثم تطورت بعد ذلك الى مناطق حضارية وبالتالى الى اسلوب حضارى واحد منتشر فى أكثر من منطقة ثم الى الوحدة الحضارية فى بداية العصر التاريخى . وقد مرت ايران بنفس الاتجاه ، فيلاحظ الدارس لحضارات ايران ابتداء من العصر الحجرى الحديث انه يمكن تقسيمها من الناحية الحضارية الى خمسة مناطق لكل منها طابعها الحضارى الخاص بها . وهذا يشبه لحد كبير مع الفارق الاوضاع الحضارية فى العراق القديم ابتداء من العصر الحجرى الحديث حيث كان النشاط الحضارى واضحا فى شمال العراق ومنعدما فى جنوبه ، ولكن منذ بداية عصور ماقبل الاسرات أى منذ عصر حضارة العبيد فقد بدأت الحضارات الجنوبية فى الظهور بجانب الشمالية وكذلك نفس الحالة فى مصر العليا والسفلى . أما المناطق الحضارية فى الهضبة الايرانية فهى :-

(١) شمال ووسط الهضبة الايرانية وتشمل منطقة تبة سيالك وكشمة على وتل حصار .

(٢) المنطقة الجنوبية الواقعة مابين بحر آرال وبحر قزوين وتتمثل فى موقع أنساو .

(٣) شمال وشمال غرب ايران وهى منطقة بحيرة فان وتشمل شاميرا ملتى وتبة تلكى .

(٤) جنوب وجنوب غرب ايران وهى منطقة تل باكون .

(٥) جنوب شرق الهضبة الايرانية وهى منطقة بلوخستان والسند وتشمل نال وبلمبوره وموهنجودارو وهارابا .

وتختلف التطورات الحضارية من منطقة لاخرى فى هذه المناطق السالفة وذلك لاسباب بيئية وبشرية • ويلاحظ الدارس لحضارات هذه المناطق تمكن بعضها من التوصل الى مرحلة العصر الحجرى الحديث فى نفس الوقت الذى توصلت اليه كل من عصر حضارة جارمو وحسونة فى العراق القديم والفيوم أ ومرمدة بنى سلامة وحلوان العمرى ودير تاسا فى مصر العليا وبعض هذه المناطق الموجودة فى الهضبة الايرانية لم تتمكن من الوصول الى هذه المرحلة فى نفس الوقت ولكن دراسة الادلة الاثرية فى طبقاتها الاولى تبين توصل هذه الحضارات الى مراحل تالية لمرحلة العصر الحجرى الحديث •

ومن ناحية أخرى يلاحظ الدارس أن بعض هذه المناطق تمكنت من انتاج أمثلة حضارية ابتداء من مرحلة العصر الحجرى الحديث ولكنها توقفت بعد ذلك • من ذلك ربما يكون مناسبا دراسة حضارات الهضبة الايرانية فى مواقعها ومناطقها المختلفة السالفة الذكر على أساس تطورها الحضارى حتى يمكن تتبع هذا التطور • وهذا لا يعنى الانقاص من قدر دراسة كل منطقة من المناطق على حدة فهذه الدراسة الاخيرة تبين المميزات الاساسية لكل منطقة والعوامل الحضارية المؤثرة فيها • وسيحاول الكاتب عند دراسة المراحل الحضارية الالمام بهذه المميزات الخاصة بكافة هذه المناطق الحضارية مع مقارنتها •

المرحلة الحضارية الاولى :

تمثل هذه المرحلة أقدم مراحل الاستقرار فى منطقة الهضبة الايرانية أى مرحلة العصر الحجرى الحديث أو مرحلة انتاج الطعام وما يتصل به من الصناعات اللازمة للزراعة وبناء القرى والاستقرار ــ وتؤرخ هذه المرحلة بحوالى ٥٠٠٠ ق٠م٠ وهو نفس الوقت الذى تؤرخ به حضارات العصر الحجرى الحديث فى مصر وميزوبوتاميا ــ وتتمثل هذه المرحلة فى حضارات سيالك Sialk I 1 وباكون ب أ Bakun B 1 وجيان أ Giyan A وعصر حضارة أناو Anau وكشمة على Chashmah Ali وقد سبقت الاشارة فى بداية هذا المقال الى بعض المظاهر الحضارية التى تميز مرحلة العصر الحجرى الحديث فى الهضبة الايرانية • ومن أهم الادلة الاثرية التى يعتمد عليها المؤرخ فى دراسة العصور السابقة للعصر التاريخى ابتداء من العصر الحجرى الحديث الاوانى الفخارية التى يحتاج اليها الانسان فى مرحلة انتاج الطعام • وتختلف صناعة هذه الاوانى الفخارية من منطقة الى أخرى من نواحى الشكل والمادة الطينية والصناعة • وأيضا التلوين والزخرفة • وقد حاول العلماء تمييز الحضارات على أساس تطور صناعة الفخار وقد اتجه المؤرخون الى تقويم الحضارة على أساس التطورات التى يمكن ملاحظتها فى الصناعة الفخارية وتعتمد هذه الدراسة

المقارنة ليس فقط على الفن الصناعى Technique ولكن أيضا على أساس الكمية التى وجدت فى المواقع الاثرية . وفخار سيالك 1 يحمل بعض اللون الاحمر المصقول نسبيا والمطلى باللون الاسود وبعضه اللون البنى الفاتح أو البرتقالى Buff ware . ويلاحظ وجود خطوط سوداء على الفخار الاحمر . ويمكن تفسير ذلك باحتمال تقليد الصانع لهذه الاوانى الفخارية لبعض الاوانى المصنوعة من الخوص أو الاغصان .

ومن أهم المظاهر الحضارية التى تميز هذه المرحلة الاولى من مراحل الاستقرار فى الهضبة الايرانية بناء المنازل فقد عثر على بقايا حيطان وارضية المنازل التى بنيت فى بداية الامر من أغصان الاشجار ولكنها كسيت بالكتل الطينية حتى تساعد على تماسكها وبالتالى تكون بمثابة حيطان لهذا المنزل الاول . وقد اتخذت هذه المنازل الشكل المستطيل فى تخطيطها . ومما يسترعى انتباه المؤرخ فى هذه المرحلة من تطور حياة الانسان بقايا المنازل الاولى التى عثر عليها فى مرمدة بنى سلامة غرب فرع رشيد وتتميز بوجود الكتل الطينية Lumps of mud ويمكن اعتبار هذه الكتل كمرحلة تمهد فيما بعد للتوصل الى مرحلة اللبن فى بناء المنازل . ومن أهم خصائص هذه المرحلة توصلها الى بعض الصناعات الحجرية كصناعة المناجل والفئوس المتصلة اتصالا وثيقا بالزراعة وأيضا صنعها لبعض الادوات النحاسية لاول مرة فى العصر الحجرى الحديث فى منطقة الشرق الادنى القديم . ويستدل من ذلك على العثور على بعض الدبابيس النحاسية فى تبة سيالك I . وهذا التفوق الصناعى باستخدام المعادن يعطى عصر حضارة سيالك أولوية لها اعتبارها فى التطور الحضارى لحياة الانسان فى تلك الفترة . ويمكن الاستدلال من ذلك على بداية خروجه من النطاق المحلى وبالتالى اتساع تفكيره فى استغلال البيئة المحيطة وماتتضمنها من معادن . كما أن استخدامه لمعدن النحاس قد اضطره الى خلق صناعات جديدة تتطلبها عمليات التعدين من ضرب وطرق المعدن وبالتالى التحكم فيه وتشكيله فى الصناعة التى يتطلبها مجتمع ذلك الوقت . ومن أهم خصائص هذه المرحلة أيضا اهتمام الانسان بمصيره بعد الموت . فقد اعتنى بدفن موتاه بطريقة تدل على ايمانه بالعالم الآخر. وقد تميز انسان هذا العصر الحضارى بدفن موتاه فى أرضية المنازل ويلاحظ أن الجثة كانت تغطى بالتراب الاحمر Red Ochre . وقد اتجه المؤرخون فى تفسير وجود التراب الاحمر فى هذه المقابر الى احتمال فائدته فى اعطاء الحياة لصاحب هذه الجثة لان هذا اللون الاحمر يرمز الى الدم الذى يعبر جريانه فى جسد الانسان على أن هذا الانسان متمتع بالحياة . وقد وجد فى احد مقابر سيالك فأس حجرى موضوع بجوار الهيكل العظمى . وقد وضع هذا الفأس بطريقة تظهر للباحث أنه فى متناول يد المتوفى للاستخدام مباشرة . ويمكن الاستدلال من ذلك على ايمان أصحاب هذه الحضارة

بالحياة الأخرى • وقد اتجه المؤرخين الى اعتبار انسان حضارة سيالك ينتمى من الناحية البشرية الى العنصر المعروف باسم ماقبيل الايرانية Proto-Iranian وأيضا الى العنصر المعروف باسم ماقبيل البحر الابيض المتوسط Proto-Mediterenean ولهذه الحقيقة أهمية بالغة لارتباط هذه العناصر بالعناصر التى تعرف فى العصر التاريخى وخاصة فى الالف الثانى ق • م • بالشعوب الهندية الايرانية التى قطنت هضبة ايران • وقد تلت هذه المرحلة عدة مراحل تطور أخرى تقدمت فيها النواحى الحضارية المختلفة •

المرحلة الحضارية الثانيــة :

تتمثل هذه المرحلة فى عصر حضارة سيالك Sialk II III وعصر حضارة كشمة على Chashmah Ali 1 وباكون ب II Bakun B II وجيان V ب وأنـاو 1 Anau 1 ويلاحظ الدارس أن هناك اشتراك فى بعض طبقات التلال بين المرحلتين الحضاريتين الاولى والثانية • ومعنى ذلك أن هذه الحضارة المشتركة قد امتد نفوذها الحضارى خلال المرحلتين وهذا يفسر تكرارها فيهما • [1] وتؤرخ هذه المرحلة الحضارية الثانية بحوالى نهاية الالف الخامس وبداية الالف الرابع ق • م • وهى تعاصر المرحلة المعروفة باسم عصر استخدام النحاس والحجر Chalcolithic وهو عصر حضارة البدارى فى مصر وعصر حضارة حلف فى العراق القديم ــ وتمثل هذه المرحلة تقدما ملحوظا بالمقارنة بالمرحلة الحضارية الاولى وقد عثر على أثرها فى الطبقات التالية لطبقات تلال المرحلة الاولى • وتدل دراسة آثار هذه المرحلة أنه لم تحدث أثنائها حروب كثيرة • [2] وربما يمكن الاستدلال من ذلك أن تلك الحقبة قد أعطت فرصة للتطور الحضارى المحلى المستقر مما أدى الى نمو الصناعات المختلفة واتساع المنازل وتزويدها بالابواب [3] وكذلك استخدام اللبن والكتل الطينية غير المنتظمة ــ ولكن هذا الآجر لم يكن دقيقا بالدرجة التى وصلت اليها المراحل الحضارية التالية ولكنه كان متقدما عن المرحلة السالفة • ومما يسترعى انتباه المؤرخ فى مظاهر هذه المرحلة الحضارية الثانية أن حيطان حجرات المنازل قد دهنت باللون الاحمر • ويلاحظ المؤرخ أن هذا الدهان كان منتشرا فى كافة المنازل ولذلك يغلب انه استخدم فعلا لاغراض الزخرفة والزينة وليس لأغراض أخرى •

---

(١) أنظر الجدول التقويمى المقارن المرفق •

(٢) R. Ghirshman, Iran, (Great Britain 1954), P. 32

(٣) Ghirshman, Ibid.

أما عن مكان دفن الموتى فكان يدفن في أرضية المنازل كما سبق الاشارة في المرحلة الحضارية الاولى . ويجدر بالذكر أن مصر في هذه المرحلة أي أثناء عصر حضارة البداري قد تمكنت من الوصول الى مرحلة متفوقة فيما يتعلق بايمان الانسان بحياته في العالم الآخر. فقد تمكن البداريون من بناء منازل خاصة للموتى في مكان خاص بهم أي جبانة واعتنى البداريون بالمحافظة على جثة المتوفي بصورة ملحوظة وليس فقط بمحاولة تسقيف المقبرة بل بتغطية الجثة بالحصير والجلد والقماش للمساعدة في المحافظة عليها . وقد أعطت هذه الحقائق لمصر في تلك المرحلة تفوقا حضاريا ملحوظا يجب اخذه في الاعتبار عند مقارنة حضارات الشرق الادنى القديم في ذلك الوقت وذلك لان الاهتمام بحقيقة الموت ومصير الانسان بعد الموت يعتبر تقدما فكريا يصل اليه الانسان بعد تطوره المادي الدنيوي بصورة ملحوظة . ومن أهم ميزات هذه المرحلة الحضارية الثانية تفوقها الصناعي ويتبين ذلك بصورة واضحة في الصناعة الفخارية التي تميزت بزخرفتها بمناظر الحيوانات والطيور وقد صنعت هذه الزخرفة باللون الاسود على الارضية الحمراء للاواني الفخارية . وقد استخدم النحاس على نطاق واسع في هذه المرحلة مما أدى الى زيادة النشاط الصناعي وبالتالي النشاط التجاري بين قرى هذه المرحلة الحضارية .

ومما يستحق الذكر أن آثار عظام الحيوانات المنتمية الى هذه المرحلة تبين العثور على بقايا عظام الكلب السلوقي وكذلك على عظام حصان صغير يمثل مرحلة متوسطة من مراحل تطور هذا الحيوان الاخير. من ذلك كله يتبين مدى التطور الحضاري في هذه المرحلة الذي مهد بالتالي لتحول المجتمع الى المرحلة الحضارية الثالثة .

المرحلة الحضارية الثالثة :

هذه المرحلة تتمثل في عصر حضارة سيالك Sialk III وكشمة على ب وحسار 1 وجيان V وباكون من أ I الى أ V وكذا بداية سوزا 1 . ومن الناحية الزمنية تؤرخ هذه المرحلة بأنها تتضمن من بداية الالف الرابع ق.م. حتى حوالي نهايته وتعاصر حضارة العبيد في العراق القديم أي بداية عصر ماقبل الاسرات وفي مصر تعاصر عصر حضارة جرزه الاولى وعصر حضارة العمرة وفي هذه المرحلة الحضارية الثالثة استخدم الآجر المنظم كما روعي استخدام ظاهرة الفجوات المنتظمة في العمارة من الخارج وكذلك استمر دهان حيطان حجرات المنازل باللون الاحمر.

أما من ناحية دفن المتوفي في أرضية المنازل فقد استمر في استخدام أرضية المنازل لهذا الغرض كما نثر التراب الاحمر على جثة المتوفي ــ وقد لوحظ بقايا هذا التراب

بالاحمر في أرضية المقـــبرة .

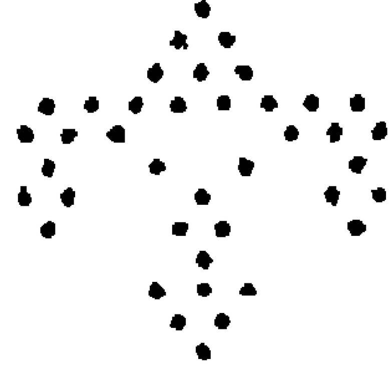
ومن الناحية الصناعية أظهر تفوقاً ملحوظاً في الصناعات الفخارية بعد اختراعـــه عجلة الفخار Potter's wheel ولم يقتصر التفوق في شكل الفخار ذاتـــه بل أيضاً في عملية تكوينه وزخرفته ومراعاة النسب الفنية اللازمة لاتقان هذه العمليات. وكذلـــك تفوق أصحاب هذه المرحلة الحضارية في صنع التماثيل الصغيرة بجانب تفوقهم في صناعــــة الادوات الحجرية والنحاسية — وقد ساعد هذا النشاط الصناعي الى زيادة النشاط التجـــاري بتصدير هذه المنتجات .

ومن أهم الادلة الاثرية التي تثبت ذلك، الاختام الاسطوانية التي يستخدمها التجـــار لختم تجارتهم وتمييزها عن بضائع التجار الآخرين . وهذه الحقيقة لها أهميتها من الناحيــــة الاجتماعية فهي تدل على شعور الفرد بشخصيته الذاتية وملكيته الفردية في المجتمع.

وقد أدى هذا التفوق الصناعي والحضاري الى بداية العصر التاريخي في منطقـــــة جنوب وجنوب غرب ايران وذلك بالتعرف الى بداية التعبير بالكتابة الصورية المعروفـــــة بما قبيل العيلامية Proto-Elamite ولاشك أن التوصل الى هذه المرحلـــــة الهامة في حياة الانسان كان بعد التفوق الاقتصادي وضرورة تسجيل المنتجات الزراعيـــــة والصناعية حتى يتمكن من تنظيم عملياته التجارية الداخلية والخارجية ومن الاهمية بمكـــــان أن يسجل المؤرخ هنا أن منطقة جنوب وجنوب غرب ايران كانت لها اسبقية حضارية هامـــة في تلك الفترة بالمقارنة بالمناطق الحضارية الاخرى في الهضبة الايرانية . وهذه المنطقـــة الجنوبية والجنوبية الغربية هي المنطقة المعروفة بوادي سوزيانا Susiana وهو الـــوادي الواقع جنوب غرب ايران والذي يعتبر مكملاً للاودية الميزوبوتامية المتاخمة لهذه المنطقـــــة من الهضبة الايرانية . أما عن الدوافع التي يمكن أن تفسر استثناء هذه المنطقة عن بقيـــــة المناطق من ناحية تطورها الحضاري المستمر مع بقية مناطق غربي آسيا فربما يرجع ذلك الـــى متاخمتها لاحد المراكز الحضارية الهامة في العالم وهو منطقة جنوب ميزوبوتاميا أي التي تمكنت من قيادة زمام الحضارة والمدنية بصورة متفرقة . بالاضافة الى مصر في منطقة الشرق الادنـــى القديم . هذا بجانب أن الصعوبات الطبيعية في الهضبة الايرانية ربما كانت من العوائــــق المانعة لسرعة انتشار التقاليد الحضارية وبالتالي تطورها السريع المؤدي الى بداية العصـــر التاريخي في نفس الوقت الذي تمكنت فيه الحضارات الميزوبوتامية والمصرية في التوصل اليه .

أما عن الاوضاع السياسية في هذه المراحل الثلاثة السالفة فالواقع أن المؤرخ لـــم يصل الى التعرف على تفاصيل هذه النظم ولكنها ربما كانت تقوم على أساس أن أكابر القـــوم

فى القرية بكونون جمعية عمومية تتركز سلطتها فى رأس الاسرة وربما ذلك تطور الى نوع من الملكيـــــة .



((الانتقـال الى بدايـــة العصر التاريخى))

سبقت الاشارة الى كيفية الانتقال الى بداية العصر التاريخى فى العراق القديـــم ومصر وذلك بتوصل مصر الى الوحدة السياسية على يد الملك المصرى نعرمر أو حور عحــــا أو منى . وكذلك حدوث طوفان أو فيضان كبير فى العراق القديم قرب بداية العصر التاريخـى مما جعل العراقيين القدماء يتخذون هذه الحادثة كحادثة مميزة لبداية العصر التاريخـى فى بلاد الرافدين . ومن الاهمية بمكان القول بأن مصر قد بدأت حياتها فى العصـــر التاريخى بهذه الحادثة السياسية وهى وحدة البلاد بينما لم يصل العراق القديم الى هـذه الوحدة الا فى بعض الفترات السياسية التى نجح فيها بعض الحكام فى جمع شمل البـــلاد. ولكن العراق القديم اتخذ حادثة الفيضان الكبير والطوفان كبداية للعصر التاريخى ممـــا يؤكد أهمية العامل البيئى فى تشكيل الاحداث التاريخية بل وفى بداية تقويم العصر التاريخـى فى بلاد الرافدين .

وفيما يلى دراسة لكيفية الانتقال الى بداية العصر التاريخى بجنوب وجنوب غـــرب ايـــــران .

الانتقال الى بداية العصر التاريخى فى جنوب وجنوب غرب ايران :

تمكنت ايران فى المراحل السابقة من التطور ماديا وفكريا وخاصة منطقة عيلام الكائنـة فى جنوب غرب الهضبة الايرانية . ومما ساعد على تمكن عيلام من التوصل الى بدايـــــة العصر التاريخى فى نفس الفترة التى توصلت اليه كل من مصر وميزوبوتاميا متاخمة عيـــــلام الى مركز المدينة الميزوبوتامية فى ذلك الوقت فى جنوب العراق القديم . وقد ساعد تجـــاور عيلام وسومر الى وجود اتصال حضارى وسياسى بينهما منذ عصور ماقبل الاسرات . وقد تمـكن

السومريون في المرحلة الحضارية المعروفة باسم مقبيل الكتابة Proto-Literate وهي المرحلة التي تتضمن عصر حضارة الوركاء وعصر حضارة جمدة نصر من التوصل الى بداية التعبير عن اللغة السومرية بالكتابة المسمارية في مرحلتها الصورية . وقد تطورت الكتابة في بداية العصر التاريخي في سومر الى مرحلة الكتابة المسمارية المقطعية . وفي نفس الوقت أيضا تمكن المصريون من التعبير عن لغتهم المصرية الحامية الاصل والمختلطة ببعض العناصر اللغوية السامية بالرموز الهيروغليفية . ويعتبر التوصل الى مرحلة الكتابة في بداية العصر التاريخي عاملا حضاريا هاما نقل حياة الانسان الى مرحلة جديدة واسعة النطاق تمكن فيها من التعبير عن كافة حاجياته وبالتالي توسيع دائرة . ويمكن القول أن الدوافع الاقتصادية كانت من الاسباب المباشرة التي ساعدت الانسان في كل من مصر وميزوبوتاميا الى اختراع الكتابة وذلك لحاجته الملحة لاداة تعبيرية تساعده في تسجيل منتجاته الزراعية وتصريف هذه المنتجات في البيئة المحلية والخارجية . ويعتبر الدافع الديني من الاسباب التي كان لها أثرها البالغ أيضا في عملية اختراع الكتابة . ويتجه الاستاذ ثوركليد جاكوبسن Thorklid Jacobsen أستاذ النظم الاجتماعية الميزوبوتامية وكذا الآداب واللغة السومرية بجامعة شيكاجو الى القول بأن العوامل الاقتصادية والدينية قد اجتمعت في المعبد السومري وأدى ذلك الى نشأة الكتابة في بداية العصر التاريخي . أما عن الكتابة الهيروغليفية المصرية فالواقع أنها نشأت وتطورت في صميم البيئة المصرية . فدراسة الرموز الهيروغليفية المصرية تدل دلالة واضحة على تطورها المصري الصرف . فالرأى القائل بأن فكرة الكتابة الهيروغليفية قد استعيرت من الخارج رأى غير سليم. وقد بدأت الكتابة بالتعبير بواسطة الصور وتعرف هذه المرحلة بالمرحلة الصورية Pictorial Writing ثم تطورت هذه المرحلة الى محاولة كتابة رموز تدل على الاصوات أو نطق هذه الكلمات المعبر عنها بالصور . أى باضافة رموز تعبر عن النطق Phonetic وتطورت هذه المرحلة بعد ذلك في بعض اللغات المكتوبة الى مرحلة المقاطع Syllabic وقد تطورت الكتابة في النصوص المعروفة بما قبيل السينائية Proto-Sinaitic (وهي النصوص التي عثر عليها في منطقة سرابيط الخادم بسيناء) الى مرحلة تسبق مرحلة الحروف الابجدية Alphabet وهي التي تمكن من الوصول اليها الفينيقيون وبالتالي اليونانيون . ويعتبر التوصل الى مرحلة الكتابة نقطة تحول في حياة الانسان وانتقاله الى عصر المدنية Civilization أى مرحلة العصر التاريخي . وقد أعطى المؤرخون فضل الاسبقية في التوصل الى مرحلة الكتابة الى السومريين والمصريين حوالى ٣٠٠٠ ق.م.

وفيما يلى مثال لتطور الكتابة الصورية الى رموز مسمارية :

				طائــــــر
				ثـــــور
				القمـــح

ومثـــال آخر من الكتابـــة الهيروغليفيـــة المصريـــة :

		مـــنزل
		جعـــران
		أفـــق

ونتبين من ذلك أن المرحلة الاولى من الكتابة هى مرحلة التعبير بالصور وقد مهـــد ذلك الى تطور الكتابة كما هو موضح بهذا المقال .

وقد تمكن العيلاميون من التوصل الى مرحلة الكتابة الصورية فى بداية العصـــر التاريخى مما جعلهم يسيرون فى ركب المدنية السومرية المجاورة دون تأخير . وقد أعطـــى ذلك الى منطقة عيلام أهمية خاصة لم تتمكن من التوصل اليها بقية مناطق الهضبة الايرانيـــة والحقيقة أن عامل الصعوبات الطبيعية التى تتصف بها الهضبة الايرانية كان له أثـــره البالغ فى تضييق نطاق الاتصال بين المجتمعات المنتشرة فى شمال وجنوب وغرب وجنوب شـــرق ووسط الهضبة الايرانية . والمؤرخ يلاحظ بصورة واضحة انفراد عيلام Elam وكذا بقيـــة الدول الجبلية القاطنة فى جنوب غرب ايران أثناء الالفين الثالث والثانى ق.م . بالتطـــور التاريخى بدرجة تتمشى لحد كبير مع التطورات الجارية فى ميزوبوتاميا . أما بقية أجزاء الهضبـــة الايرانية فانها فى الواقع كانت بعيدة عن هذه التطورات باستثناء بعض الفترات الـــتى سادت فيها التحركات البشرية الهائلة المعروفة بتحركات الشعوب الهنديـــة الاوربيـــة Indo-Europeans فى منطقة الشرق الادنى القديم . ولذلك يتجه بعض المؤرخـــون الى اعتبار الهضبة الايرانية مستمرة فى مرحلة عصور ماقبل الاسرات أثناء الالفين الثالث والثانـــى

ونلك باستثناء منطقة عيلام وكذا غرب ايران - أما فى الالف الاول ق٠م٠ فقد تغير الموقف وبدأت ايران برمتها فى الانخراط فى سلك التطور التاريخي والتمكن من أداء دور فعال فى تاريخ العالم ٠

وقد أطلق المؤرخون على المرحلة الاولى من كتابة اللغة العيلامية اسم ماقبيل العيلامية Proto Elamite script وحاول بعض المؤرخين ايجاد صلة بين الكتابة المعروفة باسم ماقبيل السومرية Proto Sumerian وبين ماقبيل العيلامية ٠ وقد تمكن الاستاذ جلب Gelb من محاولة ايجاد صلة بين الكتابات المختلفة فى منطقة الشرق الادنى القديم وغيرها - وفى هذه الدراسة حاول التوصل الى أصل واحد لهذه الكتابات واعتبر هذا الاصل فى المرحلة المعروفة بماقبيل السومرية الصورية Proto-Sumerian Pictographic (انظر الجدول الموجز الملحق لبعض آراء هذه النظرية والملحق اثناء الكتابة) - ويجدر هنا القول بأن نظرية الاستاذ جلب Gelb ليست نهائية فى هذا الموضوع وتتضمن عددا من الحقائق المعترف بها مثل تطور الكتابة المسمارية الأكادية والكتابة المسمارية العيلامية من الاصل المسمارى السومرى وكذلك تطور الكتابة المسمارية الحيثية والكتابة المسمارية الحورية من الكتابة المسمارية الاكادية - أما من القول بتطور الكتابة الهيروغليفية المصرية عن الكتابة المعروفة باسم ماقبيل السومرية الصورية فذلك بعيدا عن مجرد الاحتمال ٠ فكما سبقت الاشارة أن المدنية المصرية فى العصر الفرعونى قد تمكنت من التعبير بالرموز الهيروغليفية المصرية أى المسلية الصرفة عن مضمون لغة المصريين ٠ أما عن الكتابة المعروفة باسم ماقبيل العيلامية فيحتمل اعتمادها فى بداية الامر على الكتابة المعروفة باسم ماقبيل السومرية وذلك على أساس اتصال سومر بعيلام اتصالا حضاريا وسياسيا منذ عصور ماقبل الاسرات ٠ أما أثناء العصر التاريخي فقد اتخذت اللغة العيلامية مركزا مستقلا عن اللغة السومرية ٠ ولم يمنع ذلك من وجود نصوص من اللغتين أو اللغة الاكادية فى عيلام ٠ ومما يسترعى انتباه المؤرخ أن المرحلة السابقة للعصر التاريخي فى ميزوبوتاميا وهى مرحلة عصر ما قبيل الكتابة تمكنت فيها حضارة جنوب العراق القديم (وهى التى أدت الى تكوين المدنية السومرية فى جنوب العراق القديم أثناء العصر التاريخي) من الانتشار شرقا وغربا حتى أنه قد ثبت وصول تأثيرها الحضارى حتى وادى السند شرقا وذلك فى عصر حضارة جمدة نصر التى اتصلت بالحضارات الحارابية فى وادى السند ٠ وتدل الادلة الاثرية فى مصر فى عصر حضارة جرزة الاخير على وجود اتصال حضارى وتجارى بينها وبين جنوب العراق القديم وذلك عن طريق الخليج الفارسى والبحرى العربى والبحر الاحمر وبالتالى طريق وادى الحمامات الواقع بين القصير وقنا ٠ ومن ذلك يمكن الاستدلال أن عيلام قد وقعت أيضا تحت التأثير الحضارى الميزوبوتامى المجاور ٠ وليس معنى ذلك عدم وجود طابع عيلامى خاص فى عيلام فالحقيقة أن هذه المنطقة كان لها طابعها الخاص المميز لها ولكن حدث فى بعض الفترات التاريخية تأثر هذه المنطقة بالعوامل الحضارية الميزوبوتامية وعلى ذلك كانت عيلام تحاول الوقوف على قدميها سياسيا وحضاريا أمام التأثيرات الخارجية ٠

ومن ذلك كله يتبين أن مرحلة الانتقال الى العصر التاريخي فى ايران قد تبلورت فى منطقة عيلام بصفة خاصة ٠

((الشرق الأدنى القديم فى الالف الثالث ق ٠م ٠))
وخاصـــة فى ميزوبوتاميـــــــا

يصعب على المؤرخ التحديد الكامل المفصل لكيفية بداية العصر التاريخى فى ميزوبوتاميا
يعتمد فى الواقع على ماكتبه السومريون فى تاريخهم لهذا العصر٠ وقد اتخذ السومريون حادثـــة
الفيضان او الطوفان الكبير كعامل تاريخى هام فى تأريخ ملوكهم فقسموا وثيقة الملوك الســـــومرية
الى قسمين أساسيين :ـ

١ : قائمة ملوك ماقبل الفيضان (الطوفان) ٠
٢ : قائمة ملـــــوك مابعد الطوفـــان ٠

والمقصود بمرحلة ماقبل الطوفان عصور ماقبل التاريخ ومرحلة مابعد الطوفان بمرحلـــــة
العصر التاريخى ٠ أى أن حادثة الطوفان هى التى تفصل بين عصور ماقبل التاريخ والعصــــر
التاريخـــــى ٠

وهناك أدلة مادية على وجود ظاهرة الطوفان فى نهاية عصر حضارة جمدة نصــــــر
وهناك أدلة أيضا على وجود هذه الظاهرة فى عصر العبيد ويجدر بالملاحظة أن هذه الظاهـــرة
ظاهرة الفيضان واضحة فى جنوب العراق القديم بل هى فى الواقع مستمرة بصورة ملحوظة حــــتى
الوقـــت الحاضــــر٠

وقد لاحظ العالم الاثرى وولى Woolley انه بينما كان مستمرا فى أعمال التنقيب
وصل الى الطبقات الخاصة بجمدة نصر والوركاء ثم العبيد ثم حفر بعد ذلك ولكنه لم يجد شيئا
غير طبقة من الطين النظيف٠ وكان من المتوقع أن تؤخذ هذه الطبقة الطينية على أنهـــــا
آخر مرحلة وصلت اليها حضارات الانسان فى هذا الموقع ولا يوجد بعدها شيئا ٠ ولكنـــــه
استمر فى الحفر ٨ أقدام أخرى فى هذا الطين النظيف وعثر على مجموعة من الادوات الفخاريـــة
التى تنتمى الى عصر حضارة العبيد ويعلل وجود هذه الطبقة الطينية النظيفة بأن فيضانـــا
كبيرا تم فى المنطقة فى منتصف عصر حضارة العبيد ٠ وهناك أدلة على وجود ظاهرة الفيضـــان
هذه فى مناطق أثرية أخرى مثل كيش ٠

وقد حاول المؤرخون ايجاد صلة بين ماسجلته الكتب المقدسة بشأن طوفان نوح عليـــه
السلام والادلة الاثرية التى عثر عليها الاستاذ وولى فى جنوب العراق القديم ٠ ولكن الحقيقـــة
انه على الرغم من ايمان المؤرخ بالاحداث التى سجلتها نصوص الكتب المقدسة الا انه يصعب عليه
حتى الآن ايجاد أدلة مادية تصل حلقات المعرفة فى هذا الصدد ٠ وليس من المســتبعد أن

ما اكتشفه الاستاذ وولى يكون مرتبطا بموضوع طوفان نوح عليه السلام ولم يتم العثور حتى الآن على أدلة نهائية تثبت بصورة مباشرة تفاصيل هذه الاحداث ومعناه عدم حدوثها . ومما يسترعى انتباه مؤرخ تاريخ الشرق الادنى القديم انه هناك تشابه موضوعى نسبى بين مضمون بعض نصوص العهد القديم Old Testament التوراة ونصوص قانون حمورابى وأيضا بين مزامير داود عليه السلام ونصوص انشودة آتون يتبين من ذلك وجود صلات بين تراث بعض دول الشرق الادنى القديم وبين التراث المقدس ويجدر بالمؤرخ القول هنا بأهمية التراث المقدس السماوى كما سجلته كتب التوراة والانجيل والقرآن فى محاولة مؤرخ تاريخ وحضارة الشرق الادنى القديم فى التعرف على بعض الحقائق والاحداث البارزة .

ولا يزال أمام المؤرخ مجهود ضخم فى محاولة ربط حلقات الاتصال والمعرفة بين نصوص هذه الكتب المقدسة وبين نصوص التراث الانسانى ربطا تاما مفصلا .

وقد كتبت هذه القائمة فى حوالى نهاية الالف الثالث قبل الميلاد وتبدأ القائمة بالعبارة الآتية " عندما أنزلت الملكية من السماء ظهرت فى أريدو " فى جنوب العراق القديم

وتستمر القائمة فى ذكر أسماء الملوك الذين حكموا قبل الطوفان وقد ذكرت القائمة ثمانية من الملوك الاوائل فى خمسة مدن مختلفة واستمر حكم هؤلاء الملوك مدة ٢٤١٢٠٠ سنة وآخر هؤلاء الملوك هو الملك المعروف باسم أوبار - توتو يحكم فى موقع معروف باسم شستروباك Shuruppak لمدة ١٨٦٠٠ سنة وهذه الارقام والسنوات والحقائق مستقاة مما ذكرته قائمة الملوك السومارية (١).

وربما كان هناك ارتباطا بين محتويات هذه القائمة أو محتويات نسخة مأخوذة منها وبين النص العبرى بشأن عشرة رؤساء (الآباء) Partiarchs (من آدم الى نوح) وتستمر القائمة الملوك السومريين فى القول انه بعد انتهاء ظاهرة الطوفان ظهرت الملكية فى كيش .

وبالاضافة الى ما أشارت اليه قائمة الملوك السومرية بشأن الفيضان هناك أسطورة سومرية مصاحبة تتحدث عن فيضان أوطنابشتم كبير وهذه الاسطورة مكتوبة على لوحة طينية وذكرت هذه الاسطورة فى القصة الشعرية المشهورة والمعروفة باسم ملحمة كلكاميش The Epic of Gilgamish وكلكاميش ملك اسطورى ملك على مدينة الوركاء وهذه الاسطورة السومرية تذكر تكوين مركب ضخمة موضوع بها الفضة والذهب والاشياء العديدة والعائلات والاقارب وقد رست هذه المركب بجوار جبل يعرف باسم جبل ناصر شرق الموصل

---

(١) Finegan, Light from the Ancient Past, P. 25.

على نهر دجلة . هذه هي قصة الطوفان كما روتها النصوص السومرية والبابلية باختصار وقد ظهرت أيضا بطبيعة الحال في النصوص العبرية وبصفة خاصة في سفر التكوين .

وأما عن العصر الاول الذي يبدأ به المؤرخ تاريخ العراق القديم فهو العصر المعروف بعصر فجر الاسرات السومري . Early Dynastic period ويمتد هذا العصر من حوالي ٣٠٠٠ ق.م. الى حوالي ٢٥٠٠ ق.م. أي أثناء النصف الاول من الالف الثالث ق.م . وهو يعاصر فترات من مرحلة عصر الدولة القديمة في مصر الفرعونية . وكان يسكن العراق القديم في هذه الفترة عناصر سومرية وأخرى سامية وكانت هذه العناصر تحمل معها تقاليدها وعاداتها ولغاتها الخاصة بها قبل مجيئها الى منطقة وادي الرافدين . وقد دخلت العناصر السامية العراق القديم من الجنوب الغربي حيث كان مركز العناصر السامية هو نجد . أما العناصر السومرية فقد اختلف المؤرخون ازاء مكانها الاول الذي هاجروا منه الى العراق القديم . وقبل مناقشة موضوع أصل السومريين وكيف جاءوا الى العراق القديم يجدر الاشارة الى أن كلا العنصرين السامي والسومري قد قطنا جنوب العراق سويا جنبا الى جنب . ولاتدل الوثائق على حدوث حرب بينهما أساسها التفرقة العنصرية . ولكن نشأت المنازعات على أساس الرغبة في التفوق السياسي والمنافسة الاقتصادية . وليست على أساس التفرقة العنصرية (١). وقد وصل مدى تعاون كلا العنصرين أن اتخذ السومريون بعض الآلهة السامية كآلهة لهم .

أما عن مشكلة أصل السومريين ومن أين أتوا فلا تزال هذه المشكلة محل بحث العلماء ولم يستقر البحث على نتيجة نهائية في هذا الموضوع . والدراسة الانثروبولوجية لاتجزم بشيء في هذا الموضوع أيضا لان أغلب الهياكل العظمية التي عثر عليها في المقابر وجدت مختلطة بعضها ببعض بدرجة يصعب على الباحث استخلاص نتائج نهائية فيها . ولقد حاول العلماء التعرف على أصل السومريين بدراسة تماثيلهم الحجرية وكذا ملابسهم كما ظهرت في هذه التماثيل (٢).

---

(١) T. Jacobsen, "The assumed conflict between Sumerians and Semites in Early Mesopotamian history", Human Origins, an Introduction to Anthropology, Chicago, 1946. P. 495.

(٢) H. Frankfort, Sculpture of the third millennium B.C. from Tell Asmar and Khafajah, Chicago, 1939.

وبهذه المناسبة يلاحظ أن العناصر السومرية تمثل عادة فى التماثيل حالقة اللحى والشوارب والرؤوس ولو أنهم يمثلون فى أحيان أخرى بشعورهم ولكنهم فى هذه الحالة يحلقون شواربهم ٠

ويغلب على الظن أن السومريين جاءوا من الشرق ، ربما من الهند ومروا فى طريقهم على عيلام ، هذا مع العلم أن الحضارة العيلامية واللغة العيلامية تختلف كلية عن الحضارة السومرية واللغة السومرية ٠

ويرى الاستاذ Frankfort الذى قام بحفائر أثرية مقارنة فى مناطق مختلفة من العراق والشرق الادنى ومصر ، يرى أنهم جاءوا من الشرق فى عصر حضارة العبيد ٠ ويعترض بعض العلماء الاخرين على ذلك ٠

وقد استقرت العناصر السامية التى جاءت من الجنوب الغربى للعراق القديم والعناصر السومرية التى جاءت من الشرق فى جنوب العراق مكونين حكومات المدن أو أسرات عصر فجر الاسرات السومرية ٠

وقد صبغت العناصر السومرية عصر فجر الاسرات بالمدنية والثقافة والآداب والفلسفة واللغة السومرية ٠ وبذلك نستطيع أن نقول أن عصر فجر الاسرات فى العراق هو عصر الاسرات السومرية التى تمثل حكومات مدن سومر فى جنوب العراق ٠

وقد ساد هذا العصر صراع سياسى وحربى بين العناصر السامية من ناحية والعناصر السومرية من ناحية أخرى وكان أساسه كما سبق أن أشرت التنافس السياسى والاقتصادى والرغبة فى تزعم العراق القديم ٠ هذا وقد نجحت العناصر السامية فى الحصول على هذه الزعامة فى عصر الدولة الاكادية وعصر الدولة البابلية الاولى وعصر الامبراطورية الآشورية والامبراطورية الكلدانية ٠

أما عن تفاصيل الاسرات السومرية والاحداث التاريخية التى دارت فى النصف الاول من الالف الثالث ق ٠ م ٠ فان معرفة المؤرخ عنها ليست بالكثيرة نظرا لقلة الآثار التى تم الكشف عنها والتى تلقى ضوءا على تفاصيل هذه الاحداث ٠ ومن أهم آثار هذه الفترة وثيقة قائمة الملوك السومرية ، وقد ذكرت هذه القائمة أسرات عصر فجر الاسرات السومرية بالترتيب الآتى :-

١ — أسرة كيش الاولى وعدد ملوكها ٢٣ وعدد سنوات حكمها ٢٤٥١٠ سنة ٠

(تلى هذه الصفحة مباشرة صفحة ٥٢)

٢ ـ أسرة الوركاء الاولى عدد ملوكها ١٢ وحكمـوا ٢٣١٠ سنة .
٣ ـ أسرة أور الاولى عدد ملوكها ٤ وحكمـوا ١٧٧ سنة .
٤ ـ أسرة أوان Awan عدد ملوكها ٣ وحكمـوا ٣٥٦ سنة .
٥ ـ أسرة كيش الثانية وعدد ملوكها ٨ وحكموا ٣١٩٥ سنة .
٦ ـ أسرة حمازى Hamazi عدد ملوكها ١؟ وحكم ٣٦٠ ؟ سنة .
٧ ـ أسرة الوركاء الثانية وعدد ملوكها ١ ؟ وحكم ٦٠ ؟ سنة .
٨ ـ أسرة أور الثانية وعدد ملوكها ٤ وحكموا ١١٦ سنة .
٩ ـ أسرة آداب Adab وعدد ملوكها ١ حكم ٩٠ سنة .
١٠ ـ أسرة مارى Mari وعدد ملوكها ٦ حكموا ١٣٦ سنة .
١١ ـ أسرة كيش الثالثة وعدد ملوكها (ملكة واحدة) حكمت ١٠٠ سنة .
١٢ ـ أسرة اكشاك Akshak وعدد ملوكها ٦ حكمو ٩٩ سنة .
١٣ ـ أسرة كيش الرابعة وعدد ملوكها ٧ حكموا ٤٩١ سنة .
١٤ ـ أسرة الوركاء الثالثة وعدد ملوكها واحد وحكم ٢٥ سنة .(١)

ويلاحظ الباحث أن قائمة الملوك السومرية تذكر هذه الاسرات تلو الاخرى ولكن يغلب أن بعض هذه الاسرات كانت معاصرة لبعضها البعض أى أنها حكمت فى نفس الوقت . والواقع أننا لا نعرف كثيرا عن حكم ملوك هذه الاسرات وفيما يلى بعض هؤلاء الملوك

من أهم ملوك أسرة الوركاء الاولى مثلا الملك كلكميش Gelgamesh (٢). البطل الاسطورى صاحب الملحمة الشعرية المشهورة التى جاء فيها ذكر الطوفان . ولقد كان الصراع السياسى والحربى على أشده بين أسرات عصر فجر الاسرات محاولة كل منها انتزاع النفوذ السياسى والحربى من الاخرى وقد انتصرت أسرة أور الاولى على أسرة الوركاء الاولى . ومن أهم ملوك أسرة أور الاولى الملك ميس ـ أنى ـ بادا Mes-anne-Pada. وقد ارتفع مستوى المدنية فى عهد أسرة أور الاولى وذلك الحفائر التى قام بها الاستاذ وولى على آثار عظيمة فيما سماه بالجبانة الملكية .

هذه الجبانة المشهورة باسم الجبانة الملكية حسب تعبير الاستاذ Wooley تحوى على أكثر من ١٠٠٠ مقبرة يمكن اعتبار ١٦(٣) مقبرة منها مقبرة غنية .

---

(١) 1. Finegan, I bid., P. 31.

(٢) 4. Heidel, The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels, Chicago, 1945.

(٣) L. Woolley, Ur: the first phases, London and New York, 1946,

وقد اتجه المؤرخون في بداية الامر الى اطلاق اسم المقابر الملكية بالنسبة الى هذه المقابر الغنية . ومن أهم المقابر التى عثر عليها في هذه الجبانة مقبرة السيدة شوب ــ آد Shub - ad التى وجد فيها بقايا جثث ٢٥ شخصا مدفونا معها . كما عثر أيضا في هذه المقبرة على كأس ذهبى بجوار يدها وكذلك وجد لباس رأسها في حالة جيدة .

وهذه المقبرة ترتبط بمشكلة انسانية وهى كيفية تفسير وجود هذه الجثث المجاورة لجثة صاحبة المقبرة . هل كانت بمثابة ضحايا بشرية Human Sacrifice أو يمكن ايجاد تفسير آخر . والواقع أنه من الصعب تحديد كيفية انهاء حياة هؤلاء الاشخاص لان العظام المتخلفة ليست في حالة تعطى رأيا قاطعا في هذه المسألة .

ويلاحظ الدارس لهذه المشكلة أنه منذ مرحلة توصل الانسان الى الايمان باستمرار الحياة في العالم الآخر وذلك منذ العصر الحجرى الحديث انه يلاحظ أن بعض الاوانى الفخارية التى تركها الانسان بجوار جثة المتوفى ، على أساس حاجته اليها في حياته الاخرى ، يلاحظ أن بعض هذه الاوانى قد كسرت ولم يكن ذلك الكسر بسبب قدمها أو تآكل مادتها أو تأثير الرطوبة فيها على مر الزمن ، ولكن ثبت أنها كسرت عن قصد أى بمعنى أعدمت أو قتلت(١) ، والمقصود بالقتل هو انهاء حياة هذه الاوانى التى تنتمى الى صاحبها المتوفى والتى لابد أن تشارك صاحبها مصيره في الحياة والموت .

ويلاحظ الدارس أيضا أنه قد عثر في بعض المقابر المصرية على بعض بقايا جثث كلاب دفنت مع أصحابها . أما اذا كان خدم المتوفى يقتلون عمدا بمجرد وفاة سيدهم فان المؤرخ ليس متأكدا من حقيقة هذه الظاهرة ويحتمل حدوثها في عصور ماقبل التاريخ ولكنها اختفت في العصر التاريخى في مصر . ولكن هناك بعض الادلة التى تثبت وجود هذه الظاهرة وهى ظاهرة الدفن الجماعى بصفة استثنائية أثناء العصر التاريخى . فقد عثر في مقبرة تنتمى لاحدى أميرات الاسرة الاولى المصرية وقد دفن معها خدمها . وقد حفظ كل منهم بجواره الادوات والمواد التى كان يستخدمها في حياته . ويبدو أنهم قد دفنوا جميعا في وقت واحد مع الاخيرة(٢) . ومثال آخر ينتمى الى أحد الموظفين المصريين في عهد الدولة

---

(١) J. A. Wilson, The Burden of Egypt, Chicago, 1951, P. 26.

(٢) Illustrated London News, June 25, 1947, P. 91. American Journal of Archaeology, LI. 1947, 192.

الوسطى الذى دفن فى السودان وقد دفن معه أكثر من ١٠٠ خادم [1]. ويبدو أن هـــذا التقليد قد ظهر فى بعض أمثلة استثنائية فى التاريخ المصرى عن طريق بعض تأثـــيرات المجتمعات الافريقية فى عصور ماقبل التاريخ ٠

وقد احتفظت مصر ببعض هذه التأثيرات فى فترات تالية لعصور ماقبل التاريـــخ ويعتبر العامل الافريقى من العوامل الهامة فى توجيه بعض العناصر الحضارية لتاريـــخ مصر الفرعونى فى بعض فتراته منذ عصور ماقبل التاريخ [2]. أما فيما يتعلق بالعراق القديـم فيصعب على المؤرخ أن يفسر موضوع هذه التضحية البشرية تفسيرا حاسما ٠ كما أن المبـادئ التى أثرت فى تشكيل وتوجيه المدنية المصرية فى العصر الفرعونى تختلف عـــــن القيم والمبادئ التى آمن بها الميزوبوتاميون وعلى أية حال فلاشك أن أفراد الحاشـــــية متضمنة الخدم أرادوا مشاركة المتوفى وخدمته فى العالم الآخر كما سبق أن شاركوه فى العالم الدنيـــوى ٠

ومن أهم اللوحات التى عثر عليها فى هذه الجبانة لوحة تسمى بلوحة أور Standard of Ur ٠ وهى لوحة خشبية مطعمة تمثل الحرب والسلم ومقسمة الى ثلاث صفوف تمثل الحـــاكم وهو يستعرض الاسرى العرايا وبعد ذلك الجنود والمركبات وقد تلى عهد أسرة أور الاولـــى عهد اضطرابات وحروب أهلية بين حكومات المدن وأسباب هذه الحروب يمكن تلخيصـــا فى محاولة كل حكومة مدينة السيطرة السياسية على حكومة المدينة المجاورة ٠ وســــبب آخر هام فى هذه المنازعات هو التنازع على المياه المجاورة ومدى تحكم هذه المدينـــة أو تلك فى هذه المياه٠ والنزاع بين كل من مدينتى لجش Lagash أو لكش وجاراتهـــا أما Umma فى جنوب العراق يمثل هذه الصورة الاخيرة من المنازعات ٠

ويلاحظ الباحث فى دراسة أسماء ملوك الاسرات المختلفة كما هى مذكورة فى قائمـــة الملوك السومرية أن أسماء ملوك اسرة أكشاك واسرة كيش الرابعة أسماء سامية Semetic وهذه الظاهرة يمكن اتخاذها كدليل على انتشار بعض العناصر السامية فى أسرات حكومـــات المدن السومرية فى عصر فجر الاسرات مما سيكون له أثره الفعال فى تغلبهم فى نهايـــة هذا العصر وتأسيس الدولة الأكادية Akkdian dynesty ٠

---

(١) G. A. Reisner, Excavations at Kerma, I-III, Harvard African Studies, Vol. V p. 141.

(٢) C. G. Seligman, Egypt and Negro Africa.
Studies presented to Griffith, London London, 1932.

والمؤرخ لايعرف تفاصيل الاحداث التاريخية فى عصر فجر الاسرات السومرية الأولى التى اسرة تميز هذه الاحداث هى عدم وجود وحدة سياسية بين حكومات المدن فى العـــراق القديم • وقد حاول بعض حكام حكومات المدن السومرية القيام بتوحيد جنوب العراق القديـم • من أهم هذه المحاولات المحاولة التى قام بها لوكال زاكيزى Lugalzagesi وكان يشغل وظيفة حاكم مدينة أما وتمكن من الانتصار فى محاولات توحيده جنوب العراق وأصبح ملكـا فى مدينة الوركاء • ويعتبر لوكال زاكيزى من أهم الشخصيات السومرية وقد سجلت النصـوص السومرية انتصارات هذا الملك • ويتجه تفسير المؤرخين لهذه النصوص أن جيوشه قد وصلـت الى حدود البحر الابيض المتوسط أى أنه نجح فى تأمين حدوده الداخلية وبالتالى اتســاع نطاق نفوذه السياسى والحربى داخل العراق القديم • ومن أهم حكومات المدن فى العـراق القديم فى عصر فجر الاسرات حكومة مدينة لكش Lagash وقد سجلت نصوص أحـــد حكامها وهو أور ــ نانشى Ur Nanshe المجهودات البنائية الكبيرة التى قام ببنائها مثل بناء المعابد وشق القنوات • ومن الشخصيات البارزة بين حكام هذه الاسرة شـــخصية الملك اياناتوم Eannatum وقدنجح هذا الملك فى فرض سيطرته السياسية والحربيـــة على حكومات مدن اما والوركاء واور واكشاك وكيش وماري وقد سجل معركته ضد اما فى لوحـــة شهيرة تعرف باسم لوحة النسور Stela of the Vultures

وعلى الرغم من أن معرفة المؤرخ محدودة بالنسبة لتفاصيل الاحداث التاريخيـــة الا أنه تمكن من التعرف خلال دراسته لمضمون الوثائق السومرية ، على عدد هام من المبـــادئ والقيم الفلسفية العالية التى توصل الى انتاجها التفكير السومرى قرب نهاية عصور ماقبـــل الاسرات ، وأثناء العصر التاريخى • ويعتبر توصل العقل السومرى الى هذا المســـتوى الرفيع من الانتاج الفكرى العالى من الخطوات الهامة فى تطور تاريخ الانسانية •

ويمكن تلخيص بعض هذه القيم فى نقطتين أساسيتين :ــ

أولا : توصله الى مبـــدأ الديموقراطيـــة البدائيـــة •

ثانيا : توصله الى الفكرة العالمية • وقد توصل الى كلا المبدأين بايحاء من البيئـــة المحليـــة الصـــرفة •

وتعتبر البيئة الجغرافية أو الطبيعية أو الجوية المحيطة بالفرد والمؤثرة فى تفكـــيره من أهم العوامل الطبيعية التى سبق الاشارة اليها فى موضوع نقله الانسان من عصر جمـــع الطعام الى عصر انتاج الطعام • فقد واجه الانسان الانهار وفيضاناتها وحاول التحـــكم فيها سواء أكان ذلك فى مصر أو العراق القديم • ويجدر هنا القول أن نهرى دجلـــة

والفرات يختلفان اختلافا كبيرا عن نهر النيل ففيضانهما غير محكم الوقت كنهر النيل كما أن الطبيعة الجغرافية والجوية في العراق أقسى منها في مصر حيث أنها تختلف كل الاختلاف عن حالة مصر البيئية وقد انعكس عامل البيئة هذا في انتاجهم الفلسفي والادبي . لانهم كانوا يخشون من هذه القوى العنيفة التي تظهر في الرعد والبرق والزوابع والفيضانات الغير منتظمة في العراق القديم .

ولقد انعكس عامل البيئة في انتاج السومريين الفلسفي والادبي والديني فالاديب أو الكاتب الميزوبوتامي يعبر في انتاجه عن خشيته من قوى الطبيعة الغاشمة . اذ شعر بضعف كيانه ازائها على عكس الوضع في مصر حيث يلاحظ الباحث أن طبيعة مصر تؤكد دائما الاستمرار Continuity فالشمس تشرق من الشرق وتتوسط السماء ثم تغرب في الغرب وهي لا تنقطع عن هذه الدورة وقد تعود عليها المصري وربط نفسه بهذه الظاهرة الدائمة المستمرة reassuring فشعر المصري بالامان والاطمئنان security أما في ميزوبوتاميا فيمكن تلخيص وجهة نظر الرجل الميزوبوتامي في بداية مرحلة تكوين فلسفته في العصر السومري وما يليه من العصور التاريخية أنه كان يشعر بضعف كيانه أمام القوى الطبيعية . وقد كتب أحد السومريين يبين مواجهته لهذه القوى واستجابته وهذه القوة في هذه الحالة هي الفيضان قال " ... الفيضان الغزير الذي لا يستطيع أي رجل أن يواجهه . هذا النوع من الفيضان الذي يهز السموات ويرج الارض ... "(١).

وكان الميزوبوتامي يربط نفسه بقوى الكون Universe or cosmos المحيطة لانه كان ينظر الى العالم كله كدولة مكونة من نجوم وأحجار ورياح ومياه ومواطنين وطيور وحيوانات ولكل شيء من هذه الاشياء كيان شخصي . وبطبيعة الحال تختلف تلك الشخصية من كائن الى آخر .

وقد سجل أحد الكتاب السومريين قطعة أدبية عن الملح كمادة طبيعية قال " أيها الملح لقد ظهرت في مكان نظيف وان الاله انليل Enlil قد جعلك من نصيبه ولا يمكن لاي طعام أن يصنع الا اذا كنت فيه وبدونك لا يستطيع أي ملك أو سيد أو أمير أو حاكم أن يشم البخور ... "

(ويمكن القول أن هذا النوع من التفكير ربما انعكس فعلا في تفكيرهم السياسي وفي نظام حكم الدولة من الناحية السياسية . وقد سبقت الاشارة الى نظام الديموقراطية البدائية

---

(١) T. Jacobsen, "Mesopotamia", The Intellectual Adventure of Ancient Man. P. 137.

حيث أن حكم الدولة كان في ايدى جمعية عمومية من الرجال الاحرار البالغين بدلا من تركيز السلطة في يد فرد واحد) . وقد كان المجتمع السومري مكون بطبيعة الحال من العبيد والرجال الاحرار والاطفال والنساء ولم يكن هناك مجال في الحكم الا للرجال الاحرار فقط حيث كان لهم حق التصويت .

وقد اعتبر السومري أو الميزوبوتامي القوى الطبيعية الماثلة بمثابة آلهة واعتبروا هذه القوى بمثابة أعضاء أساسيين في هذا الكون . وكان على رأس هذه الآلهة الاله آنو Anu اله السماء ويمثل السلطة القوية والاله انليل Enlil اله الزوابع والقوة ثم اله الارض انكي En-Ki وفي بعض الاحيان يطلق عليه ملكة الالهة وسيدة الجبال . يظهر هذا الاله في مظهر من مظاهره كرجل ومظهر آخر كأنثى .

ومن أهم انتاج السومريين الفلسفي فكرتهم الكونية أى أنهم نظروا الى الكون كله كدولة وان لكل كائن شخصيته المعنوية وكما سبق أن ذكرت يمكن ايجاد علاقة بين هذا التفكير وبين فكرة الديموقراطية البدائية Primitive Democracy (1) انهم نظروا الى العالم كله كدولة مكونة من عدة أعضاء تمثل القوى الكائنة فيه .

ومعنى الديموقراطية البدائية التفكير على أساس مبدأ المساواة بين المظاهر الكونية بمعنى احتفاظ كل مظهر في هذا الكون بشخصيته الذاتية والايمان بأهمية كل شخصية في هذا الكون واتصالها جميعا بعضها بالبعض في تسيير هذا الكون .

ويجدر الاشارة الى أن هذا النوع من التفكير الديموقراطي ليس ديموقراطيا بالمعنى الكامل عندما طبق بصورة عملية في نظام حكم الدولة . فالجمعية العمومية التي تحكم المدينة السومرية لم يكن أعضاؤها الا من الرجال الاحرار أى أن هناك نوع من التفرقة النسبية بين أفراد المجتمع . ولكن هذا التفكير الديموقراطي البدائي في ذلك الوقت ، على الرغم من عدم اكتماله ، الا أنه يعتبر تفكيرا متقدما في حياة الانسان . ولم يصل العالم اليوناني الى المبادئ الديموقراطية بمعناها المعروف الا أثناء القرنين الخامس والرابع ق.م . مما يعطي التفكير السومري أولوية ملحوظة في مجال تطور الفكر السياسي .

---

(1) T. Jacobsen, "Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia Journal of Near Eastern Studies, vol. 11, July, 1943, Number 3.

ومما يسترعى الانتباه ان السومريين قد انتجوا هذا النوع من الانتاج الفكرى العالى على الرغم من عدم توصلهم الى الوحدة السياسية واستمرار وجود بعض الحروب الاهلية بين حكومات المدن .

وقد كان لعامل البيئة الجغرافية أثره المباشر وغير المباشر فى خلق هذا النوع من التفكير . وربما كان للعامل الاقتصادى أثر أيضا فى ذلك . وهذا العامل الاخير تجلى فى عصر ماقبل الاسرات فى فترة الثورة الصناعية الاولى وهى النقلة من جمع الطعام الى انتاج الطعام مما أدى الى ضرورة انشاء الترع والتحكم فى الانهار ونتج عن ذلك نشأة القرى والمدن وزيادة السكان وظهور الرئيس والمرؤوس ، اى ان هذا العامل الاقتصادى كان له أثر فى تفكيرهم الجماعى والتعاونى الديمقراطى البدائى بدلا من تفكيرهم الفردى . وقد انعكس هذا التفكير كما سبق أن ذكرت فى نظامهم السياسى وأهم نقطة فيه هو تأسيس جمعية عمومية للرجال الاحرار أى أن هناك هيئة جماعية تحكم البلاد بدلا من فرد واحد أو ملك واحد .

ومما يستحق الذكر فى هذا الصدد أيضا أنه خلال تاريخ مصر الفرعونى يلاحظ المؤرخ فى عصر الانتقال أو عصر الثورة الاجتماعية الاولى بعض العناصر الدالة على مطالبة بعض المصريين بالعدالة الاجتماعية وما يبين وجود أضواء تمثل حقوق الافراد والمطالبة بها فى المجتمع المصرى فى العصر الفرعونى . هذا مع العلم بأن نظام الحكم فى مصر الفرعونية كان يتركز فى يد فرد واحد هو الفرعون أو الملك الاله . والملكية فى مصر الفرعونية ملكية فرعونية فالملك يمثل الاله على الارض وهو اله فى نفس الوقت ويعتبر كرابطة بين عالم الالهة وعالم الانسان . أما فى العراق القديم فلم يكن الملوك آلهة بأى حال من الاحوال باستثناء الملك نارام سن الاكادى(1) الذى سجل فى ألقابه ما يعبر عن قدسيته . ولا يجد المؤرخ تفسيرا نهائيا لهذه الحالة الاستثنائية فى تاريخ العراق القديم .

هذا وقد أنتج السومريون انتاجا فنيا رائعا فى النحت والعمارة بجانب انتاجهم الفكرى والفلسفى ومن أمثلة الانتاج الفنى السومرى مجموعة التماثيل السومرية التى كشفت فى منطقة تل أسمر وخفاجة ومن أهم أمثلة هذه المجموعة تماثيل الاله آبو Abu وزوجته

H. Frankfort, Kingship and the Gods, Chicago, 1948, P. 224. (1)

وقد عثر عليها فى المعبد المربع الخاص بالاله آبو فى تل أسمر (١). وقد ترك السومريون تراثا معماريا ضخما فى عدد كبير من المدن السومرية ويشمل ذلك المعابد المختلفة مثل معبد الاله سن (اله القمر) فى خفاجه ومعبد الاله آبو فى تل أسمر (٢).

وقد سبقت الاشارة الى أن العناصر السومرية والعناصر السامية قد دخلت العراق القديم فى عصور ماقبل الاسرات وعاشت سويا ولكن الزعامة كانت للعناصر السومرية . ولكن العناصر السامية كانت تحاول انتهاز فرصة ضعف بعض الملوك السوماريين فى بعض حكومات المدن السومرية وتحاول احلال نفسها مكان العناصر السومارية . وقد ظهر هذا التدخل السامى بصفة خاصة فى أسرة أكشاك وأسرة كيش الرابعة . وقد وصل التنافس على الزعامة السياسية بين السومريين والساميين حدته قرب نهاية عصر فجر الاسرات السومرية ونجح الساميون فى انتزاع الزعامة السياسية والحربية من السومريين وبذلك بدأ عهد الانتصار السامى الاول وهو عهد الدولة الأكادية وقد استمر ذلك من حوالى ٢٣٦٠ أو ٢٥٥٠ الى حوالى ٢١٨٠ ق.م.

وقد سبق الاشارة الى أنه على الرغم من اختلاف العناصر السامية عن العناصر السومرية من النواحى البشرية واللغوية والحضارية وايضا على الرغم من تنافسهم على الزعامة السياسية على العراق القديم الا انه لم تكن هناك تفرقة عنصرية بينهما بل على العكس كان هناك اتصال حضارى . فقد استعار الساميون الخط المسمارى من السوماريين (انظر اللوحة ص١٨) ويتبين من ذلك احتمال انتماء اللغة الاكادية المكتوبة بالخط المسمارى الى المرحلة المعروفة باسم ماقبيل السومرية الصورية أصلا وعلى أية حال تطورت اللغة الاكادية المكتوبة بالخط المسمارى فيما بعد الى اللهجات البابلية والاشورية والكلدانية . وجميعها تمثل الفرع الشرقى لعائلة اللغات السامية . أما الفرع الغربى فيتمثل فى اللغة العبرية والآرامية والعربية . وهناك أيضا اللغة الحبشية التى تنتمى لعائلة اللغات السامية

وقد بدأت هذه الهجرات السامية فى التغلغل فى جنوب العراق القديم منذ عصور ماقبل الاسرات وتغلغلت فى وقت متقارب نسبيا العناصر السومرية أيضا .

---

(١) H. Frankfort, Soulpture of the Third Millennium B.C. from Tell Asmer and Khafajah, Chicago, 1939.

(٢) H. A. Frankfort, Arrest and Movement, Chicago, 1951.
P. Delougaz and Lloyd, Pre - Sargonid Temples in the Diyala Region, Chicago, 1942.

والشخصية السامية التى نجحت فى تغير مجرى التاريخ فى العراق القديم ونقل الزعامة من العناصر السومرية الى العناصر السامية هى شخصية الملك الاكادى سرجون الاول . وهو شخصية غير معروفة الاصل وكان يعمل فى بداية الامر عند سيده حاكم أسرة كيش الرابعة وتمكن من التوصل الى مركز يضاهى الحاكم والثورة ضده ومهد ذلك نحو استيلائه على حكم هذه الاسرة . ثم بدأ فى تأمين سياسته بأن نجح فى الانتصار على لوكال زاجيزى وبدأ بعد ذلك فى تدعيم الدولة الاكادية وانشاء الامبراطورية السامية الاولى .

((عصر الامبراطورية الأكادية))

أو

العصر السرجونى من ٢٣٦٠-٢١٨٠ ق.م.

تمكن سرجون الاول من النجاح فى ثورته على ملك أسرة كيش الرابعة وأيضا على لوكال زاكيزى ملك أسرة الوركاء الثالثة ثم تابع سرجون الاول انتصاراته نحو الشمال واستولى على مدينة مارى وتسمى الآن مدينة تل الحريرى وأيضا اتجه نحو الشمال الشرقى حيث تمكن من تثبيت نفوذه فى مناطق القبائل الكوتية الساكنة فى منطقة كركوك وأربيل ثم اتجه بعد ذلك الى جنوب العراق ونشر نفوذه على مدينة أور السومرية وبذلك يمكن القول أن سرجون استطاع أن يعيد الوحدة للعراق القديم لاول مرة بشكل كامل . (لانه سبقه لوكال زاكيزى لكن لم يستمر طويلا) وتعتبر امبراطورية سرجون أول امبراطورية فى الشرق الادنى القديم وبعد أن تمكن سرجون الاول من توطيد كيانه السياسى الداخلى اتجه نحو تأسيس الامبراطورية الاكادية فى الشرق الادنى القديم . وبدأ باستيلائه على منطقة عيلام جنوب غرب ايران وجنوب شرق العراق وعاصمتها سوسا واتجه غربا بعد ذلك حتى منطقة كبادوكيا فى آسيا الصغرى . وهناك احتمال لوصوله الى جزيرة قبرص . وفى عهد سرجون بدأ عهد جديد ظهرت فيه سيطرة العناصر السامية سواء كان ذلك من الناحية السياسية أو الحضارية . فقد بدأت اللغة الاكادية السامية المكتوبة بالخط المسمارى تحتل مكانها حتى صارت اللغة الدولية فى الشرق الادنى القديم خلال الالف الثانى قبل الميلاد . ولقد اكتسب الاكاديون الكثير من المزايا الاقتصادية والتجارية والحضارية من توسعهم فى الشرق الادنى القديم وتكوينهم الامبراطورية الاكادية . وقد اتخذ سرجون مدينة أكاد عاصمة لهذه الامبراطورية . وقد أعطت هذه المدينة اسمها لهذا العصر وأيضا اللغة الاكادية . وسرجون (شاروكين) نفسه شخصية هامة فى التاريخ وهناك كثير من القصص والاساطير حول شخصيته ومن أشهر هذه الاساطير أسطورة تشبه فى بعض أجزائها قصة سيدنا موسى عليه السلام . تقول الاسطورة

"أن سرجون ولد سرا من أم ساقطة وأب غير معروف وأن أمه وضعته في سلة وقذفت بها في الماء (اليم) (نهر الفرات) وعثر على هذه السلة فلاح فأخذ سرجون من السلة ورباه وأعجب به ملك كيش وأدخله في خدمته وبعد ذلك أحبته الآلهة وجعلته ملكا ." وسرجون الاول شخصية قوية لها أهميتها في تاريخ الشرق الادنى القديم لتمكنه من تأسيس أول امبراطورية في هذه التبعية ولكن العناصر السومرية في حكومات المدن لم تقبل هذا الوضع الجديد بسهولة فقد قامت مدينة أور السومرية بالثورة عدة مرات محاولة الخروج من نطاق هذه الامبراطورية السامية . ولكنها لم تنجح في هذه المرة في عهد سرجون وقد خلفه ريموش ابنه . وستتمكن العناصر السومرية من استعادة العظمة السومرية مرة أخرى في عهد أور الثالثة . ومن أهم ملوك الدولة الاكادية بجانب سرجون الملك نارام سن Naram - Sin الذى تمكن من اعادة توحيد اركان الامبراطورية الاكادية على الرغم من محاولات السومريين تفكيكها . ولقد لقبت النصوص هذا الملك "ملك العالم وملك الجهات الاربع" . ومن أهم الاثار التى خلفها نارام سن أثر مشهور معروف باسم نصب النصر Stela of Victory وهذا النصب موجود الآن بمتحف اللوفر بباريس . ويمثل هذا الاثر الملك وهو على رأس جيشه المنتصر على بعض القبائل الجبلية المعروفة باسم لولوبى Lulubi . ويمكن اعتبار نارام سن آخر ملك قوى من ملوك الاكاديين وبانتهاء حكمه بدأت مظاهر الضعف تبدو في أنحاء الامبراطورية الاكادية ولقد انتهزت العناصر الكوتية وهى عناصر جبلية قوقازية فرصة ضعف الدولة الاكادية وزحفت على العراق القديم في ذلك الوقت وأنهت حكم الامبراطورية الاكادية وبدأت عصر جديد في تاريخ ميزوبوتاميا في الالف الثالث ق.م . ويعرف باسم العصر الكوتى واستمر من ٢١٨٠ - ٢٠٧٠ ق.م . ومعرفة المؤرخين عن هذا العصر معرفة قليلة أو شبه معدومة ولكن يبدو أن الكوتيين قد دمروا الكثير من انتاج السومريين والاكاديين الفنى وغيره ولقد انتهزت حكومات المدن السومرية هذا الوضع الجديد وبدأت في محاولة استعادة مجدها السومرى القديم ومن أشهر الشخصيات السومرية في ذلك الوقت شخصية رجل اسمه جوديا Gudea أو (كوديا) ملك لكش وقد مهد جوديا الى استعادة النهضة السومرية مرة أخرى وبدأ العصر السومرى الجديد الذى استمر من ٢٠٧٠ الى ١٩٦٠ ق.م . وجوديا شخصية تتميز بصفات العظمة والتقوى . كرس جوديا نفسه كراع للشعب السومرى وكان كثير التعبد وكان يقول مثلا في بعض نصوصه "ليس لدى أم فأنت أمى الخالصة (يحدث الاله) وليس لدى أب فأنت أبى الخالص" وقد ترك جوديا عدة تماثيل لها جمالها الفنى وأشهرها التمثال الموجود في متحف اللوفر بباريس . وترك عدة نصوص تعد من أرق وأحسن ما أنتجه الادب السومرى القديم وقد خلفه في الحكم ابنه أورننكرسو . ويظهر هؤلاء الملوك السومريين

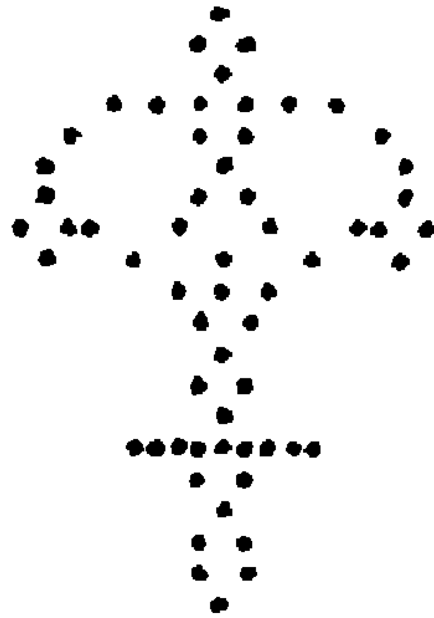
ومحاولاتهم استعادة العظمة السومرية مرة أخرى بدأ النفوذ الجوتى فى الضعف وبعد ذلك بطبيعة الحال على سرعة انتصار السومريين وعلى رأسهم الملك آتو ـ حيكال حاكم الوركاء والذى أسس أسرة الوركاء الخامسة ولقب نفسه بملك سومر وأكاد . ثم انتقلت العظمة السومرية الى مدينة أخرى لها أهميتها الكبيرة فى تاريخ السومريين وهى مدينة أور Ur وفيها أسس أور ـ نامو Ur - Nammu أسرة أور الثالثة . وكان أور ـ نامو أحد قواد الملك أتو ـ حيكال حاكم الوركاء . وأور ـ ناموا يبدأ فى الواقع عصر العظمة السومرية الحقيقية كما تظهر فى عصر أسرة أور الثالثة (عصر أور الذهبى) .

ويعتبر عصر أسرة أور الثالثة عصر رخاء وتقدم سياسى وحربى وحضارة وفن فى تاريخ العراق القديم ومن أهم شخصيات هذه الاسرة شخصية أور ـ ناموالذى ترك لنا الكثير من الآثار الهامة فى عدة مدن وأشهر هذه الآثار هو معبد أور المدرج المعروف باسم زقورات أور Ziggurat

ويلاحظ المؤرخ أن معبد أور المدرج المعروف باسم زاجورات أور مبنى من اللبن وهو عبارة عن عدد من الدرجات المؤدية الى معبد فى أعلى البناء وهناك بعض الظواهر المعمارية المشابهة بوجه عام فى كل من مصر الفرعونية وعمارة الهنود الحمر فى المكسيك من ناحية وجود مبانى مدرجة لها صبغة دينية ويتجه المؤرخ الى محاولة ايجاد صلة بين هذا الانتاج المعمارى المتشابه نسبيا فى مختلف جهات العالم ولكن الحقيقة أنه لكل مبنى من هذه المبانى وظيفته الخاصة فالهرم المدرج فى مصر هو عبارة عن مقبرة ملكية ويمثل الهرم البناء العلوى لهذه المقبرة الملكية . أما زكورات أور ومعابد الهنود الحمر فى المكسيك فهى عبارة عن معابد فى أعلى البناء المدرج . ويصعب على المؤرخ القول بوجود تأثيرات متبادلة بين هذه المناطق نتجت عنها هذه الابنية المتشابهة شكلا وذلك لاختلاف الازمنة التى بنيت أثنائها بدرجة ملحوظة وهذا لا يمنع من وجود اتصال حضارى بين مصر والعراق القديم منذ عصر حضارة جرزة الاخيرة فى مصر وجمدة نصر فى العراق القديم .

وقد وجد اسم أور ـ نامو نفسه مكتوبا على اللبن المبنى به المعبد وقد كان معبد الاله نانار Nannar اله القمر قائما على قمة هذه الزقورات . وربما كانت الدرجات المؤدية الى المعبد مغطاة بالطين الذى يحتمل استخدامه لزراعة النباتات فى الطريق المؤدى الى المعبد ولدينا أثرا هاما آخر لأور ـ ناموهو لوحة تمثل طريقة بناء الزقورات وتسمى لوحة أور ـ نامو Stela of Ur - . فيها هذه اللوحة يرى الملك وهو فى وضع متعبد بينما "الملائكة" الطائرة يحملون الاوانى التى تخرج منها مياه الحياة . ثم يلى

ذلك بعض بقايا مناظر عملية بناء الزقورات نفسها • وبعد حكم أور ـ نامو خلفه على العرش ابنه الملك دنكي أو شـــــكي أو دنجي Bu ngi وبعد ذلك تلاه الملك بور ـ سن ثم الملك جميل ـ سن ثم الملك ابي ـ سن Ibi - Sin • ويمكن القول أن الوضع السياسي في العراق القديم في عهد أسرة أور الثالثة كان مستقرا للغاية • وقد تمكن حكام أور خاصة في عهد (أور ـ نامو) ودنكي من نشر نفوذ أور السياسي حتى منطقة عيلام جنوب غرب ايران وجنوب شرق العراق • وكذا في المناطق الشمالية شمال شرق الدجلة وحتى المنطقة التي ستظهر فيها العظمة الاشورية في نينوى • وتقول بعض المصادر أن نفوذ أور الثالثة السياسي والحضاري والتجاري قد وصل الى منطقة البحر الابيض المتوسط وآسيا الصغرى • ولكن هذا القول لا يزال محتاجا الى تدعيم • وفي عهد الملك أبي سن انتهت العظمة السومرية على أيدي مجموعة من العناصر السامية وهي العناصر المعروفة باسم العناصر الآمورية Amorites شمال شرق سوريا وشمال غرب العراق الذين استقروا في مدينة مـــاري في أعالي الفرات والذين تمكنوا من تأسيس أسرة ايسين Isin في جنوب العراق القديم وكذلك هجمت العناصر العيلامية على المدن السومرية في ذلك الوقت وتمكنت من انهاء العظمة السومرية • وعلى ذلك يمكن القول ان عظمة اسرة أور الثالثة انتهت على أيـــدي العموريين والعيلاميين اللذين أسسا عصرا جديدا في تاريخ العراق القديم وهو عصر الاحتلال الآموري والعيلامي الذي استمر من سنة ٢٠١٦ الى سنة ١٨٣٠ ق٠م٠



((الشرق الادنى القديم))

فى الالف الثانى ق٠م٠ وخاصة بلاد الرافدين والاناضول

العراق القديم :

عصر الاحتلال الآمورى والعيلامى :

هناك تسمية أخرى لهذا العصر وهى عصر أسرتى ايسين ولارسا حيث كانت العناصر الآمورية فى أسرة ايسين والعيلاميين فى أسرة لارسا٠

والآموريين قوم ساميون ويقطنون منطقة آمورو Amuru بسوريا ولبنان ، وبينما كان النزاع مستمرا بين الآموريين والعيلاميين على الزعامة السياسية للعراق القديم كانت أسرة بابل السامية الآمورية الاصل أيضا فى طريقها الى التكوين٠ وسرعان ماتمكنت من بسط نفوذها على حكومات المدن المجاورة وأسست الاسرة البابلية الاولى٠ وقد استمرت هذه الاسرة من سنة ١٨٣٠ ق٠م٠ الى سنة ١٥٥٠ قبل الميلاد٠ واما عن تفاصيل الاحداث التاريخية فى عصر الاحتلال الآمورى والعيلامى فقليلة ولكن سادتها ظاهرة استمرار النزاع السياسى والحربى بين حكومات المدن فى جنوب العراق٠ وقد انتهزت أسرة بابل الآمورية الاصل انشغال حكومات المدن الاخرى بمنازعاتها السياسية والحربية ونجحت فى السيطرة على الموقف٠ وقد كان النزاع بين الآموريين والعلاميين محتدا وانتصرت العناصر العيلامية على العناصر الآمورية وواجه العيلاميون بعد ذلك العناصر البابلية الآمورية الاصل ونجح البابليون فى توطيد أركان حكمهم والانتصار على العيلاميين وخاصة فى عهد الملك البابلى العظيم حمورابى٠ فقد بدأت أسرة بابل السامية فى نشر نفوذها فى منطقة أكاد السامية أولا ثم قامت بعد ذلك بمحاولة السيطرة على منطقة سومر٠ تمكن الملك حمورابى Hammurabi (الذى حكم من حوالى سنة ١٧٢٨ ق٠م٠ الى سنة ١٦٨٦ق٠م٠) من ترجيح كفة الاستقرار الداخلى فى العراق القديم وبدء عصر يعرف بالعصر الذهبى فى تاريخ العراق٠

عصر الدولة البابلية الاولى :

يعتبر حمورابى شخصية فذة جديرة بالذكر تجمع بين شخصية المصلح الداخلى والمشرع القانونى والسياسى والمحارب العظيم٠ وبعد أن تمكن حمورابى من الانتصار على العيلاميين بدأ فى التوسع الحربى والسياسى فى الشرق والشمال والشمال الغربى ومن أهم

المناطق التى تمكن من الاستيلاء عليها منطقة أشنونا أو تل أسمر وكذلك احتل مناطق الاشوريين فى الشمال . ولقد كانت مدينة مارى (تل الحريرى) فى أعلى الفرات منافسا قويا للدولة البابلية الاولى بالاضافة الى العيلاميين . ولكن حامورابى تمكن فى السنة الثانية والثلاثين من حكمه من الاستيلاء على مارى . ومارى من أهم مدن ميزوبوتاميا وكانت مركزا سياسيا وعلميا واقتصاديا . ولقد دلت الحفائر التى عملت فى هذه المنطقة والتى قام بها الفرنسيون أن قصر الملك فى مدينة مارى يزيد فى مساحته على ١٥ فدانا . وكان هذا القصر يحوى ادارات مختلفة منها مدرسة للكتاب . وقد اكتشفت فى أرشيفات هذا القصر ما يزيد على ٢٠ ألف لوحة طينية تمثل المراسلات الدبلوماسية المتبادلة بين ملوك أو حكام مدينة مارى وخاصة الملك زمرى ليم Zimrilim وبين حمورابى ملك بابل .

ومن أهم الوثائق التى تهم المؤرخ فى مجموعة لوحات مارى هى الوثيقة التى تثبت معاصرة حمورابى للملك شمشى أداد الاول ملك آشور وهذه الوثيقة تسهل لحد ما مشكلة تاريخ زمن حامورابى أو المدة التى كان فيها حاكما للدولة البابلية الاولى وآخر هذه الابحاث تقول انه كان حاكما فى المدة بين سنة ١٧٢٨ سنة ١٦٨٦ ق.م.

وأهم أثر خالد من عهد الملك البابلى العظيم حمورابى هو قانونه الشهير بقانون حمورابى The code of Hammurabi وهذا القانون عالج كافة المسائل الاجتماعية والتجارية ومسائل الاحوال الشخصية وغيرها .

ونصوص هذا القانون صريحة فى أحكامها . وهى تتبع التقليد السامى القائل بأن العين بالعين والسن بالسن وما الى ذلك من طرق المعاملة بالمثل . ومن أهم الظواهر التى تسترعى انتباه المؤرخ وجود نوع من التشابه الموضوعى النسبى بين نصوص هذا القانون وبين مضمون ما ورد من بعض نصوص التوراة على الرغم من اختلاف الازمنة التى ترجع اليها هذه الشرائع . وقد حاول المؤرخون ايجاد تفسير علمى لهذه المشكلة ولكن الحقيقة أن هذا التشابه الموضوعى لا ينقص بأى حال من الاحوال من قدر وأهمية نصوص العهد القديم . ويحتمل أن العادات والتقاليد التى كانت سائدة فى المجتمعات السامية مثل المجتمع البابلى والمجتمع الاشورى والمجتمع العبرى وغيرها قد انتشرت بدرجات متفاوتة فى هذه المجتمعات واعتاد الانسان على استخدام بعض هذه العادات والتقاليد العامة والسامية الاصل بالاضافة الى بعض التقاليد المحلية . والكتب المقدسة لها رسالتها الدينية الخاصة بها وقد تعرضت الى بعض العادات والتقاليد السائدة فى المجتمعات فى ذلك الوقت على سبيل التوجيه الوعظ والارشاد ولا ينقص هذا التشابه النسبى من منزلتها . وقد أدرك المؤرخ

ة من هذا التشابه الموضوعي ليس فقط فيما يتعلق بالمعاملة بالمثل في قانون حامورابـــي
ة ظاهرة التبني بل أيضا هناك التشابه بين مزامير سيدنا داوود عليه السلام وبين أنشـودة
ـون . ومما يسترعي انتباه المؤرخ أن حق الطلاق في قانون حمورابي قد أعطى لكـــل
الرجل والمرأة ولكنه لم يعط الا للرجل في نصوص التوراة . وقد اهتم قانون حمورابي بالمرأة
و أساسي في المجتمع وضرورة المحافظة على حقوقها المدنية . وقد اعترف القانـــــون
جليزي المدني بأولوية قانون حمورابي في هذا الصدد .

ومن الامثلة المتعلقة بالمجتمع وضرورة المحافظة عليه في قانون حمورابي النصـــوص
ة بقتل السارق الذي تثبت عليه التهم وكذا قتل شاهد الزور التي تؤدي شهادته الـــى
نة المتهم والى قتل المهندس المعماري الذي يثبت اهماله في عملياته الهندســـــية
. قام بها ونتج عنها تهدم منزل على أصحابه . وفيما يتعلق بالزنى يعاقب كل من الزانـــى
نية بالقتـــل .

وقد نظم هذا القانون العمليات التجارية الخاصة بالبيع والشراء والتأجير والرهـــن
ة العقود وما يتصل بذلك .

وقد بدأت مظاهر ضعف ونهاية الدولة البابلية الاولى تظهر في عهد الملـــــك
ـسـ الونا . ومن أهم أسباب ضعف الدولة البابلية الاولى تدخل عناصر جديدة في شــــئون
راق القديم وهي العناصر الكاشية Kassites وكذلك تأسيس أسرة في جنوب بابـــل
، باسم أسرة القطر البحري Sea land dynasty ومؤسسها سامي الاصـــــل
ن بين ملوكها الكثير من الاسماء السومرية . وقد استمر حكم أسرة بابل الاولى في كفاح بـــين
اصر الكاشية في الشمال والشرق وعناصر أسرة القطر البحري في الجنوب . هذا بالاضافـــة
ن الدولة البابلية الاولى قد صوحت قرب نهايتها على أيدي الحيثيين Hittites
، هذا الهجوم الحيثي لم يستقر في البلاد البابلية طويلا أي أنهم لم يؤسسوا أســـــرة
ة في بابل بل تركوها . وتمكن الكاشيون من الهجوم على جنوب العراق وانهاء عصر الدولـــة
لية الاولى وتأسيس الاسرة الكاشية في تاريخ العراق القديم وقد استمر هذا العصـــــر
شي في حكم العراق من حوالي سنة ١٦٥٠ الى ١١٧٥ ق.م .

ـسرة الكاشـــية :

العصر الكاشي في تاريخ ميزوبوتاميا عصر غامض حتى الآن نظرا لقلة المصادر التاريخيـة
يمكن التعرف على حقائق هذا العصر في المستقبل بعد دراسة نتائج الحفائر وهــــذا

بعصر عصر الاسرة الكاشية هو عصر دولة بابل تحت حكم الشعوب الكاشية . ودام هذا العصر الى الخمسمائة عام ويعتبر مثالا واضحا من أمثلة النزاع السياسى والحربى بين بابل الكاشية التى يحكمها الكاشيون وبين الدول المجاورة سواء أكانت أسرة القطر البحرى فى الجنوب العيلاميين فى الشرق والجنوب الشرقى والاشوريين فى الشمال والشمال الشرقى . وقد أت قوة الاشوريين تحتل مكانا ظاهرا فى ميدان الشرق الادنى القديم فى ذلك الوقت أى حوالى منتصف الالف الثانى ق.م . وتظهر قوى سياسية هامة فيه مثل دولة الحيثيين Hittites ظهرت فى الاناضول Anatolia فى بوغازكوى . ومثل دولة ميتانى Mitanni التى سماها المصريون نهارين Naharin وسكان هذه الدولة الاخيرة رفون باسم الحوريون Hurrians والسوبريون Suberians . هذا بالاضافة ، ظهور الامبراطورية المصرية الاولى فى عهد الاسرة الثامنة عشر امبراطورية تحتمس الثالث تحتب الثانى .

وقد سبق القول أنه بعد نهاية حكم حامورابى بدأت تظهر فى الشرق الادنى دم موجات من الشعوب الهندية الاوربية محاولة التدخل التدريجى فى شئون الشرق دنى القديم وربما يفسر ذلك ظهور الكاشيين والميتانيين والحيثيين والهكسوس فى ذلك نت نسبيا . ولذلك يعتبر المؤرخ هذه الفترة أنها تمثل عصرا دوليا هاما تظهر فيه ل واضح تشابك السياسة الدولية واتصال الشعوب المختلفة بين دول الشرق الادنى القديم .

أما عن الكاشيين أنفسهم فهم فى أصلهم قبائل جبلية جاءت من العراق الى الشرق جبال زاجروس فى ابتداء تكون الاسرة البابلية الاولى وقد اختلف المؤرخون ازاء أصل اشيين الجنسى هل هم عناصر هندية أوروبية ؟ أو عناصر عيلامية ؟ .

وبالرغم من أن بعض ملوكهم حافظوا على أسمائهم الاصلية وكذا عبادة آلهتهم انهم بعد احتلالهم البابلى اعتنقوا الديانة البابلية وجمعوا آلهتهم والآلهة البابلية ، حكم بابل فى العصر الكاشى ٣٦ ملكا كاشيا وأولهم الملك كنداش Gandash ثم ، ملوك آخرين مثل أكوم ثم كاشتيلياش الاول . وقد نجح الكاشيون فى انهاء أسرة طر البحرى جنوب العراق وكان هذا عملا سياسيا له قيمته فى تثبيت نفوذهم فى بابل .

ومن مظاهر الناحية الدولية فى العصر الكاشى وثائق وخطابات تل العمارنة شهورة وهى اللوحات الطينية المكتوبة باللغة الاكادية والخط المسمارى وهى خطابات ادلة بين أمنحتب الثالث وأمنحتب الرابع وبين ملوك الشرق الادنى القديم . وقد تبع لك الكاشى كداشمان انليل الاول سياسة الصداقة مع الملك المصرى امنحتب الثالث وزوجه

احدى اخواته وتدل هذه المراسلات الدولية المتبادلة بين ملوك الشرق الادنى القديم في ذلك الوقت على مدى الاتصال السياسي والحضاري المباشر بين هذه الدول ـ دول الشرق الادنى القديم ـ وخاصة أن غالبيتها مكتوبة باللغة الاكادية والمكتوبة بالخط المسماري وبالرغم من أن الكاشيين تمكنوا من التحكم في جنوب العراق، والتغلب على أسرة القطر البحري الا أن الاشوريين في الشمال أخذوا يحتكون ببابل الكاشية محاولين التوسع جنوبا . وقد حال وجود دولة ميتاني ودولة الحيثيين في غرب العراق أو شمال غربها دون توسع الدولة الاشورية تجاه الغرب في ذلك الوقت ،وقد تمكن الاشوريون من الهجوم على بابل الكاشية وانهاء حكم الكاشيين وضمها الى الدولة الاشورية . ولو أن ذلك الانتصار الاشوري لم يدم طويلا لان النهاية الحقيقية للكاشيين كانت على أيدى العيلاميين الذين هاجموا بابل الكاشية ونهبوها ونقلوا الكثير من آثارها الى عيلام (وقد وجدت آثار بابلية في سوسة مثل لوحة حامورابي المشهورة).

ومن المحتمل أن العيلاميين استقروا مدة قصيرة في بابل بعد هزيمة الكاشيين ولكن حكم بابل انتقل الى أسرة جديدة لمدة حوالى ١٢٠ سنة وهذه الاسرة تعرف باسم أسرة باشى . وهذه الاسرة بابلية واسم باشى نسبة الى مكان في مدينة ايسين جاء منه مؤسس هذه الاسرة . وقد حكم العراق القديم في عهد هذه الاسرة ١١ ملكا وتمكنوا من هزيمة العيلاميين وكذلك احتكوا مع الملوك الآشوريين في الشمال . والواقع أن تاريخ هذه الاسرة تاريخ كفاح سياسي وحربي بينهم وبين الاشوريين في الشمال . ولو أن ذلك الكفاح يتخلله بعض فترات السلام والمحالفات والزواج السياسي بين بابل تحت أسرة باشى والاشوريين ولكن ظهور عامل جديد وهو غزوات القبائل الارامية لبابل في ذلك الوقت كان له أثره في اضعاف هذه الدولة البابلية وانتقال القوة السياسية الى عناصر غير بابلية .

وقد رأت هذه العناصر الآرامية التدخل في حوالى نهاية الالف الثاني وأوائل الالف الاول ق.م. وقد كانت هذه القبائل الارامية السامية قد أسست أماكن لها على نهر الفرات . وبدأت في التغلغل في بابل من تلك الاماكن . وقد ظلت الدولة البابلية ضعيفة الشأن في تاريخ الشرق الادنى القديم حتى أواخر القرن السابع ق.م. حيث نشأت الدولة البابلية الجديدة المعروفة باسم بابل الكلدانية والتى استمرت من ٦١٢ الى ٥٣٩ ق.م.

الدولة الحيثية القديمة والدولة الحيثية الحديثة

لم يصل المؤرخ حتى الآن الى التصور الدقيق على كيفية نشأة المملكة الحيثيــــة ولكنه يرجع تأسيس هذه الدولة الى ملك حيثى اسمه لابارناس Labarnas وربمـــا تغير نتائج الحفائر هذه الحقيقة وقد خلف لابرنلس الملك خاتوسيليس الاول وفي عهـــده توسعت الدولة الحيثية القديمة نحو الجنوب الشرقى ، وفى عهد الملك التالى مرسيليس تمكنت هذه الدولة الحيثية القديمة من الوصول والاستيلاء على بابل وانهاء حكم الدولة البابليــــة الاول كما سبقت الاشارة . وقد اختلف المؤرخون فى تاريخ زمن هذا الاحتلال الحيثـــى المؤقت لبابل ويغلب أنه كان حوالى ١٦٠٠ ق.م. وكان من عوامل اضعاف الدولة الحيثيــة القديمة ظهور العناصر الحورية فى شمال شرق سوريا وفى المنطقة التى أطلق عليها فيما بعـد ميتانى . وقد عقدت الدولة الحيثية القديمة فى نهاية مراحل تاريخها معاهدة مع احـدى الولايات الحيثية الجنوبية وهى ولاية كيزو واتنا فى آسيا الصغرى ويمكن أخذ ذلك كدليل علـى مدى ضعف تلك الدولة الحيثية القديمة . وقد تضمنت خطابات تل العمارنة المصرية بعـض الخطابات الى منطقة آرزاوا Arzawa فى الاناضول . ويمكن اعتبار هذه أيضا كدليــل على استقلال هذه الولاية ، أيضا عن الدولة الحيثية القديمة . ولم تتمكن هذه الدولــة الحيثية القديمة من الاستقرار بعد توالى مظاهر الضعف الداخلى والخارجى عليها الا بظهـور ملك حيثى قوى وهو الملك شوبيلوليوما وقد أدى ظهور هذا الملك القوى الى بدء عصر جديـد فى تاريخ الحيثيين وهو عصر الدولة الحيثية الحديثة . واستمر حكم هذا الملك للدولــة الحيثية من ١٣٨٠ الى ١٣٤٦ ق.م. وقد اهتم هذا الملك بتدعيم وتحصين عاصمة مملكتـــه وهى خاتوساس (وهى بوغاز كوى) بالاسوار المحصنة . وبدأ بعد ذلك فى التوسع الخارجى ثـم بمهاجمة دولة ميتانى التى كان يحكمها فى ذلك الوقت الملك الميتانى تشرتا والاخير كـان متحالفا مع ملك مصر امنحتب الثالث ضد الحيثيين . وقد تابع شوبيلوليوما هجومه على دولـة ميتانى محاولا الاستيلاء على عاصمة ميتانى وهى واسوكانى . وقد نجح الحيثيون فى الاستيلاء عليها وقد ساعدهم عدم تدخل المصريين فى ذلك الوقت لمساعدة ميتانى وذلك لانشغـال المصريين فى مشاكلهم الداخلية فى ذلك الوقت . ولم يكن توسع الحيثيين فى منطقـــة سوريا وميتانى انهاء لدولة ميتانى فقد كان سوء السياسة الخارجية لملك توشرتا الميتانـى أثرها فى نشوء حزب ميتانى جديد يحاول التحالف مع الدولة الاشورية بدلا من التحالـف مع المصريين ضد الحيثيين وكان ملك آشور فى ذلك الوقت هو الملك آشور أو باليت ، وقد تمكن الحزب الميتانى الجديد من قتل توشرتا وتلاه فى الحكم الملك أرتاتاما ثم شوتارنا اللذيـن اتبعا فى تحالفهما الآشوريين بدلا من المصريين . واتجه ابن توشرتا المقتول نحـــو

الحيثيين مكونا حزبا ميتانيا يميل الى الحيثيين ، وقد تغلب النفوذ الاشورى على ميتانى وعلى النفوذ الحيثى فيها ، ضم الاشوريون ميتانى الى الامبراطورية الاشورية وبذلك أصبح الاشوريين مواجهين للحيثيين مباشرة ولا توجد دولة محايدة بينهما وقد بدأت مظاهر التفكك السياسى بشكل واضح فى الدولة الحيثية الحديثة بعد وفاة شوبيلوليوما .

ومن مظاهر هذا التفكك انسلاخ بعض الولايات الحيثية وقيامها بالاستقلال بمقاطعتها وقد حاول الملوك الحيثيين التحكم فى بقايا النفوذ الحيثى واخضاع الثورات المحلية وترك مرسيليس الثانى الدولة الحديثة لخلفه الملك الحيثى مواتلليس امبراطورية حيثية ثابتة الاركان وحكم من سنة ١٣٦٥ الى ١٢٤٠ . وفى تلك الفترة كان الملك المصرى سيتى الاول يحكم مصر وتلاه رمسيس الثانى . وقد حاول المصريون استرجاع امبراطوريتهم المصرية فى ذلك الوقت فأرسل سيتى الاول الجيوش المصرية الى سوريا وفلسطين ولكن الحيثيين تمكنوا من صد هذه الجيوش وفى عهد رمسيس الثانى حدث الاحتكاك السياسى والحربى بين الحيثيين والمصريين وحدثت موقعة قادش المشهورة فى السنة الخامسة من حكم رمسيس الثانى . وبالرغم من أن رمسيس الثانى قد ذكر فى النصوص المصرية انتصاراته فى هذه الموقعة ولكن الحقيقة أن المؤرخ يصعب عليه البت بصورة نهائية ازاء هذه المشكلة . فكلا الطرفين يؤكد انتصاره ولا يعلن الاعتراف بالانسحاب .

وهناك بعض الملاحظات الهامة عن معركة قادش ونتائجها بصفتها معركة تبين الكفاح السياسى والحربى بين الحيثيين والمصريين .

يتبين لنا من دراسة النصوص المقارنة المصرية والحيثية أن رمسيس الثانى قد خدعه الحيثيون حربيا فى معركة قادش وذلك بأن وضعوه فى كمين حربى وقد أحاطه الاعداء ولم يتمكن ضباط الاستكشاف بجيشه الوقوف على حقيقة هذا الكمين . ولا شك أن نتيجة هذا الكمين أن تراجع رمسيس الثانى وجيشه وتمكن من الافلات شخصيا مع بعض حاشيته من هذا الكمين بشجاعة يسجلها التاريخ . وقد اعتبرت النصوص المصرية هذه النجاة من هذا الكمين انتصارا حربيا هائلا وانقاذا من الآلهة المصرية للاله المصرى (الملك) . ولما كان الغرض الاساسى من المعركة هو الاستيلاء على قادش نفسها وطرد الحيثيين منها أن عدم تحقيقه يمكن تفسيره بأنه هزيمة . ورجع رمسيس الثانى الى مصر معلنا انتصاراته الهائلة وسطر ذلك على حيطان المعابد المصرية وأكد بصفة خاصة على كيفية افلاته ونجاته شخصيا مع حاشيته ويقول النص المصرى مامعناه "أحيط الملك بعدد يقدر بألفين وخمسمائة مركبة مكونة من فرسان حيثيين بالاضافة الى عدد آخر من الفرسان الذين جاءوا من ولايات أرزاوا وكيزوواتنا

وحلب وأوكاريت (رأس شمرا) وقادش واتجه الملك المصري الى الاله آمون الذى ساعده فـــى الحال، "ويقول النص المصرى " وتحولت هذه المركبات والفرسان الكبيرة الى تلال من الجثث أمام فرسانى " وتؤكد النصوص المصرية شجاعة رمسيس الثانى وجبن الملك الحيثى مواتاليـــس فهو لم يهاجم المصريين مباشرة ويجدر بالذكر أن التفكير المصرى فى ذلك الوقت لا يمـــكن أن يتصور هزيمة حربية كهذه لاله (أى الملك). ولذلك بالغ رمسيس الثانى فى التعبـــير عن انتصاراته هذه واعتبرها انتصارا للاله آمون . وهكذا استطاع أن يقنع الشعب . وقد ســـطر رمسيس انتصاراته فى معابد الكرنك والاقصر والرمسيوم وابو سنبل وأبيدوس .

وقد استمرت العلاقات المصرية الحيثية متوترة بعد معركة قادش . فقد قـــــــام رمسيس الثانى بعدة حملات بعد هذه المعركة فى فلسطين وسوريا محاولا اســـــــتعادة الامبراطورية المصرية ولكن هذه العلاقات المتوترة انتهت أخيرا بعقد معاهدة تحالف هامـــة ومشهورة بين المصريين والحيثيين . ولدينا النصين المصرى (المكتوب بالخط الهيروغليفـــى والحيثى المكتوب باللغة الاكادية والخط المسمارى . والملك الحيثى المعاصر لهـــــذا التحالف هو حاتوسيليس الثالث Hattusilis III الذى حكم من ١٢٨٢ الـى ١٢٥٠ ق.م . ويقول النص المصرى فى هذه المعاهدة أن الملك الحيثى حاتوسيليس أرسل وفـــود الى رمسيس الثانى لطلب السلام بين الطرفين . ومن الجانب الاخر يقول النص الحيثـــى أن رمسيس الثانى قد اقترح على حاتوسيليس عقد معاهدة سلم وتحالف بينهما وعلى ذلـــك فكلا الطرفين احتفظ لنفسه بالعزة النفسية بشأن طلب حق عقد المعاهدة) .

وتنقسم هذه المعاهدة الى عدة أقسام وتبدأ بالمقدمة التاريخية التى تذكر أنــــه كانت هناك حروب ومعاهدات سابقة بين المصريين والحيثيين وتؤكد أن رغبة الملكين رمسيس الثانى وحاتوسليس الثالث هى السلام والتحالف والصداقة . ثم يلى ذلك القسم القســـم الخاص الذى يؤكد معاهدة عدم الاعتداء . ثم يلى ذلك التحالف الدفاعى ضد أى عـــدو خارجى يهجم على أحد هاتين الدولتين . ثم يلى ذلك الشهود على تلك الوثيقة وفى هـــذه الحالة الشهود هم الالهة المصرية والالهة الحيثية . وتدعيما لهذه المعاهدة السياســـية تزوج رمسيس الثانى أميرة حيثية ربما كانت هذه الاميرة ابنة حاتوسيليس الثالث . وعاشـــت الدولة الحيثية الحديثة فى رخاء وسلام فى عهد الملك حاتوسيليس الثالث الذى انتقل الـــى عاصمة ملكه حاتوسا (بوغازكوى) واعتنى حاتوسيليس الثالث بارشيفات الوثائق . وتـــدل الوثائق التى ترجع الى عصر الملك حاتوسيليس الثالث انه أصدر عدة قوانين دينيـــة وادارية لاعادة النظام والسلام فى أنحاء الدولة الحيثية . ولكن بالرغم من هذه المحاولات فقد ساد الاضطراب النسبى فى المقاطعات الغربية والجنوبية الغربية وبصفة خاصة مقاطعـــة

أوزاوا محاولة الاستقلال .

وتلى حاتوسيليس الثالث على العرش ابنه تودحاليا الرابع Tudhaliyas IV من ١٢٥٠ الى ١٢٢٠ ق.م. وقد اعتنى هذا الملك بالمسائل الدينية وادخل عدة اصلاحات فى هذا الشأن وخاصة فى الاعياد والمواسم الخاصة بها وكذلك أظهر هذا الملك بعض النشاط الحربى فى غرب آسيا الصغرى وخاصة فى ولاية أسوا Assuwa التى أعطت كلمة آسيا للقارة الاسيوية وضمها الى الدولة الحيثية . هذا وقد بدأت بعض مظاهر ضعف الدولة الحيثية وكان من العوامل التى أدت الى ذلك محاولة الولايات الغربية فى آسيا الصغرى وكذا الشعوب الهندية الاوروبية فى جزر بحر ايجة وبلاد اليونان التعرض أو التدخل فى شئون الولايات الحيثية وفى الواقع أن منطقة شرق البحر الابيض المتوسط قد شاهدت ما بين ١٤٠٠ الى ١١٠٠ ق.م. تحديلا فى كيانها البشرى . وهذه الحقبة من الزمن فى الشرق الادنى القديم يمكن وصفها بأنها عصر دولى اتصل فيه المصريون بالحيثيين وكذا الميزوبوتاميين وكذلك ظهرت فى تلك الفترة فى شرق البحر الابيض المتوسط عناصر هندية أوربية مثل اليونانية واللاتينية وجاءت هذه الشعوب نتيجة للضغط البشرى من الشرق والشمال الشرقى وقد أطلقت عليهم النصوص المصرية اسم " الشماليين فى جزرهم " وأطلق عليهم أغلب المؤرخين " شعوب البحر " وتظهر هذه الشعوب فى النصوص المختلفة تحت أسماء مختلفة مثل الفلسطينيين Philistines والدردانيين Dardanians والشردان Sherden والشكلش Shekelesh ويغلب انهم من سردينيا وصقلية ولا تعرف المواطن الاصلية لبعضهم مثل الكشكش Keshkesh والارون Irwens . وقد أثرت هذه الشعوب البحرية تأثيرا قويا فى تاريخ الشرق الادنى القديم فى تلك الفترة (بين ١٤٠٠ - ١١٠٠ ق.م.) وسبقت الاشارة الى أن بعض هذه الشعوب قد احتك بالولايات الحيثية وكانت من أسباب اضعاف كيانها . وفى عهد الملك أرنووانداس الرابع Arnuwandas IV بدت مظاهر هذا الضعف واضحة وتلاه أخوه الملك شوبيلوليوما الثانى وفى عهده انتهت تقريبا الدولة الحيثية الحديثة . وتقول المصادر المصرية ان شعوب البحر فى الجزر الموجودة فى شرق البحر الابيض المتوسط اختلطت بالحيثيين وانتهت عظمة الحيثيين واحتلت شعوب البحر المعروفة باسم الفلسطينيين المنطقة التى سميت فيما بعد فلسطين وكذلك تمكن الفريجيون Phrygian فى شمال غرب آسيا الصغرى من بسط سلطانهم على هذه المنطقة وبالرغم من انتهاء الدور السياسى الخطير الذى لعبه الحيثيون فى الشرق الادنى القديم بانتهاء الدولة الحيثية الحديثة الا أن النصوص الآشورية تستمر فى الاشارة الى الامبراطورية الحيثية والمدنية الحيثية وتطلق على منطقة سوريا وجبال طوروس بأنها منطقة بلاد حاتى .

والواقع أن الحضارة الحيثية استمرت فى شمال شرق سوريا وجنوب شرق الاناضول على الرغم من زوال النفوذ الحيثى السياسى القوى فى تلك المناطق . وقد عثر علماء الآثار على عدة آثار فى سوريا تحمل نصوص مكتوبة بالخط الحيثى الهيروغليفى Hirtite Hierglyphic ومعاصرة لنهاية الالف الثانى قبل الميلاد وأوائل الالف الاول قبل الميلاد . وكل هذا يدل على أن المدنية الحيثية قد أثرت فى تلك المناطق تأثيرا قويا حتى عصر الامبراطورية الآشورية . ويغلب أن هذا التأثير الحيثى فى سوريا كان بصفة خاصة آتيا من ولاية كيزوواتنا المجاورة . وقد نشأت عدة ممالك سورية ضعيفة متأخرة بذلك النفوذ الحيثى مثل مملكة أربا د Arpad ومملكة حماة Hamath ومملكة حلب Aleppo ويمكن تتبع تاريخ هذه الممالك السورية الصغيرة فى نصوص الدول المجاورة مثل آشور وأرارات Urartu, Ararat واسرائيل وقد وقعت هذه الممالك السورية الصغيرة تحت النفوذ الآشورى الجديد الذى بدأ يحتل مكانة كبيرة فى الشرق الادنى القديم . وكذلك كانت العناصر الآرامية Aramaic فى أعالى الفرات قد أسست ممالك فى سوريا . ونجحت فى ذلك وأسست مملكة دمشق Damascus وكان لوجود هذه العناصر الآرامية ثم العناصر الآشورية أثره الكبير فى انتهاء النفوذ الحيثى فى منطقة سوريا وكانت اللغة الآرامية اللغة الدولية فى الالف الاول قبل الميلاد فى الشرق الادنى القديم وبانتهاء العظمة الحيثية فى الشرق الادنى القديم انتقل ميزان القوى السياسية الى أيدى دولة جديدة صارت لها السيادة السياسية والعسكرية فى الشرق الادنى القديم وهذه الدولة هى الدولة الآشورية .

((الشرق الادنى القديم فى الالف الاول ق.م.))

العراق القديم — الدولة الآشورية

كانت الزعامة السياسية والحضارية فى أثناء الالف الاول ق.م. للعراق القديم وايران فى منطقة الشرق الادنى فقد أنتهزت منطقة شمال شرق العراق وهى منطقة آشور فرصة ضعف الدولة البابلية تحت حكم الكاشى قرب نهاية الالف الثانى ق.م. وبدأت فى الظهور كدولة عظيمة فى غربى آسيا والواقع أن آشور ترجع فى مراحل تكوينها الى الالف الثالث ق.م. أى الى بداية العصر التاريخى. وقد أشارت النصوص التى عثر عليها فى منطقة نوزى Nuzi الى حكومة مدينة آشور وهذه النصوص ترجع الى عهد الدولة الاكادية. ويمكن تقسيم التاريخ الآشورى الى ثلاثة أقسام رئيسية :—

أ — آشور فى مرحلة تكوينها من ٣٠٠٠ الى ١٧٠٠ ق.م.

ب — عصر المملكة الآشورية من ١٧٠٠ الى ١١٠٠ ق.م.

ج — عصر الامبراطورية الآشورية من ١١٠٠ الى ٦١٢ ق.م.

وقد بدأ الآشوريون فى الاستقرار فى منطقة شمال شرق العراق القديم فى بداية العصر التاريخى كعناصر سامية تنتمى الى الشعبة الشمالية الشرقية. وقد اعتمدت آشور على ما أنتجته المدنيات فى جنوب العراق القديم فى أثناء مراحل تكوينها. ففى عهد الدولة البابلية الاولى اعتمدت آشور على النواحى الدالية بالاضافة الى النظم والتقاليد الآشورية الصرفة. وأهم الشخصيات الآشورية التى كان لها دور كبير فى مرحلة تكوين الدولة الآشورية الملك شمشى أدد الاول (من ١٧٤٦ الى ١٧١٧ ق.م.) والملك آشور أوباليت (من ١٣٦٣ الى ١٣٢٨ ق.م.) — ولم يكن للدولة الآشورية فى مراحل تكوينها دور أساسى فى تاريخ الشرق الادنى القديم من الناحية السياسية. ولكن كان لها أهمية بالغة من الناحية الحضارية. فقد كان لنشاطها التجارى أثره البعيد حتى منطقة شمال شرق الاناضول وهى منطقة قبادوكيا. وكان ذلك من الاسباب التى أدت الى انتشار اللغة الاكادية المكتوبة بالخط المسمارى فى هذه المنطقة وبالتالى فى صميم الاناضول أى فى الدولة الحيثية. ... الحيثية بالخط المسمارى بجانب كتابتها بالخط الهيروغليفى.

أما الدور الكبير الذى قامت به آشور فى تاريخ الشرق الادنى القديم فهو دورها فى مرحلة الامبراطورية وذلك ابتداء من عهد الملك الاشورى تجلات بليزر الاول الذى حكم من

(١) آشور نامر بال الثانى حكم من ٨٨٣ الى ٨٥٩ ق٠م٠
(٢) شلمنصر الثالث حكم من ٨٥٨ الى ٨٢٤ ق٠م٠
(٣) اداد نيرارى الثالث حكم من ٨٠٩ الى ٧٨٢ ق٠م٠
(٤) تجلات بلسيزر الثالث حكم من ٧٤٥ الى ٧٢٧ ق٠م٠
(٥) سرجون الثانى حكم من ٧٢١ الى ٧٠٥ ق٠م٠
(٦) سنحريب حكم من ٧٠٤ الى ٦٨١ ق٠م٠
(٧) اسرحدون حكم من ٦٨٠ الى ٦٦٩ ق٠م٠
(٨) آشور بانيبال حكم من ٦٦٨ الى ٦٢٦ ق٠م٠

وفى عهد هؤلاء الملوك العظام نجحت الدولة الآشورية فى تكوين الامبراطورية الآشورية فى منطقة الشرق الادنى القديم٠ ومن أهم الدعائم التى ساعدت فى نجاح تكوين هذه الامبراطورية اهتمام الملوك الآشوريين بالجيش الآشورى اهتماما بالغا٠ فقد خلقوا منه أكبر قوة ميكانيكية ضاربة فى منطقة الشرق الادنى القديم أنزلت الرعب فى قلوب أعدائها٠ وقد سجل الملوك الآشوريين فى نصوص حولياتهم الكثير عن قوتهم العسكرية ونشاطهم الحربى الضخم٠ وكذلك عبر هؤلاء الملوك عن انتصاراتهم بالنحت على الحائط٠ هذا بالاضافة الى الآثار الأخرى الخاصة بكل ملك على حدة مثل المسلة السوداء الخاصة بالملك شلمنصر الثالث٠ وقد واجه هؤلاء الملوك الآشوريين معارضة ومقاومة الشعوب والدول التى حاولوا احتلالها وخاصة الشعب البابلى فى جنوب العراق والشعوب السامية المختلفة القاطنة فى سوريا وفلسطين وكذلك الشعب المصرى أثناء احتلالهم لمصر٠ وقد حاولت هذه الشعوب من جهتها الاتحاد وذكرت النصوص الآشورية قيام عدد من الاحلاف الدفاعية ضد النفوذ الآشورى٠ وكانت قيادة هذه الاحلاف فى مملكة دمشق٠ وعلى الرغم من ظواهر هذا الاتحاد بين هذه الشعوب الا انها لم تستطع الوقوف أمام النفوذ الآشورى٠ فقد نجح

الآشوريون فى ازالة هذه المقاومة وبالتالى تكوين الامبراطورية الآشورية • وقد اتبع الآشوريون سياسة العنف والقسوة تجاه الشعوب التى اخضعوها لنفوذهم • ويمكن ملاحظة هذه المعاملة القاسية بالنسبة لهذه الشعوب مافعله الآشوريين فى مصر الفرعونية وخاصة فى مدينة طيبة العاصمة المصرية الثرية من نهب وسلب وتقتيل الكهول والنساء والاطفال أثناء فترة احتلالهم لمصر• أما فى اسرائيل فقد اتبع الآشوريون سياسة الترحيل أى نقل جزء كبير من السكان من فلسطين الى مناطق أخرى حتى يطمئنوا الى عدم قيام هؤلاء السكان بثورات ضد النفوذ الآشورى مرة أخرى • وعلى الرغم من استخدام هذه الوسائل المختلفة فى تدعيم كيان الامبراطورية الآشورية الا أن الثورات ومحاولات التحرير التى حاولت هذه الشعوب القيام بها للتخلص من النفوذ الآشورى قد استمرت حتى نهاية هذه الدولة • ومما يلاحظه المؤرخ أن هذه الثورات كانت تقوم فى فترات ضعف الحكومة المركزية فى آشور وذلك أثناء تولى ملك ضعيف الحكم فسرعان ماتنتهز هذه الشعوب هذه الفرصة وتقوم بالثورات الواحدة تلو الاخرى • وكان من أهم واجبات الملك الآشورى بعد توليه الحكم مباشرة القيام بحملة قوية لاخضاع هذه الشعوب الثائرة • ومن ناحية أخرى كان يستلزم ذلك وجود جيش آشورى قوى فى المناطق الخاضعة للنفوذ الآشورى ووجود هذا الجيش القوى يستلزم بالتالى ميزانية خاصة للصرف على هذه الجيوش الموجودة خارج الدولة الآشورية • وبطبيعة الحال كانت الضرائب المختلفة التى تتكفل بدفعها هذه الشعوب من الموارد الاساسية لهذه الميزانية بالاضافة الى ماتسلبه هذه الجيوش الاجنبية من ثروات البلاد الخاضعة لها •

وقد ذكرت النصوص الآشورية الكثير عن قوة وعظمة الملوك الآشوريين وقد سجل شلمنصر الثالث فى نصوصه مامعناه أنه الملك القوى ملك العالم الذى تمكن من تهشيم أعدائه كما تهشم الاواني الفخارية • وقد ذكر أشورناصربال الثانى فى نصوصه أيضا أنه قد صبغ الجبال بالدم الاحمر•

وقد تلى شلمنصر الثالث على عرش الامبراطورية الآشورية ابنه الملك شمشى أداد الخامس والملكة الشهيرة سميراميس ثم ابنهما الملك اداد نيرارى الثالث ثم شلمنصر الرابع وأشوردان الثالث وأشورنيرارى الخامس • ولم تكن الامبراطورية الآشورية عظيمة الشأن فى عهد الثلاثة ملوك الاخيرين وذلك بسبب ضعف سياستهم فى حكم هذه الامبراطورية ولم تستعد الامبراطورية الآشورية عظمتها الا فى عهد الملك الآشورى تجلات بليزر الثالث وقد سمته نصوص العهد القديم باسم الملك بول Pul • ومما يستحق الذكر أن نصوص العهد القديم (التوراة) قد ذكرت الكثير فيما يتعلق بالعلاقات الآشورية الاسرائيلية • وواجب المؤرخ تجاه

ا التراث القيم محاولة التعرف على الحقائق التاريخية التى ذكرتها النصوص المقدسة نصوص الآشورية . والدراسة المقارنة توضح الطريق فى هذا الصدد هذا مع العلم بأن صوص الآشورية قد بالغت فيما يتعلق بانتصارات الملوك الاشوريين . ويصعب على ورخ الاشورى الاعتراف بنوعية الملك الاشورى فى موقعة من المواقع ولذلك تعتمد النصوص شورية عن عدد من المواقع التى انهزم فيها الجيش الاشورى . ويلاحظ المؤرخ كثرة صوص التى تشير الى التصادم الحربى بين الجيوش الآشورية من ناحية وجيوش الدول ى خضعت للنفوذ الآشورى وعلى ذلك كان من الواجبات الاساسية التى تواجه الملك شورى كما سبقت الاشارة الوقوف فى وجه المعارضات التى تقوم بها الشعوب المختلفة فى الواقع ضرورة "معاقبة" هذه الشعوب المحتلة على حد تعبير النصوص الآشورية ن هجوم الاشوريين على مصر واحتلالهم لها من المحاولات الاشورية لتأديب الشعوب ى تحالفت ضد النفوذ الآشورى . وكان ذلك فى عهد كل من أسرحدون وأشوربانيبال . ولكن الرغم من نجاح الاشوريين فى احتلال مصر الا أنهم لم يتمكنوا من المكوث فى مصر فترة يلة . فقد دام الاحتلال الاشورى لمصر من ٦٧١ الى ٦٦٣ ق.م.

وقد تلى الملك أشوربانيبال فى حكم الامبراطورية الآشورية ثلاثة ملوك آشوريين عاف . وقد نتج عن تولى هؤلاء الحكام الضعاف شئون هذه الامبراطورية الشاسعة تهاز الشعوب المحتلة لهذه الفرصة وبالتالى قيامها بالثورات المتتالية للتخلص من النفوذ شورى . وكان شعب بابل ، الذى سبق له احتلال مكانة رئيسية فى النصف الاول من لف الثانى ق.م. فى تاريخ الشرق الادنى القديم ، له الدور الفعال فى انهاء مبراطورية الآشورية واستعادة المكانة البابلية مرة أخرى وذلك فى المرحلة المعروفة عصر البابلى الجديد أو الدولة الكلدانية . وقبل التعرض الى هذه التطورات السياسية تاريخ الشرق الادنى القديم يحسن الاشارة الى بعض النواحى الحضارية الآشورية .

ومن أهم الظواهر المميزة للمدنية الآشورية نجاحها فى ابراز قوتها العسكرية ورة تسترعى انتباه المؤرخ لأول وهلة . فالدارس لنصوص الآشوريين وكذا للانتاج الفنى

الآشوري يدرك مباشرة قوة هذه الدولة الاشورية في الناحية العسكرية وقد نجح الاشوريين في صنع الاسلحة والمركبات الحربية الحديدية التي اعتمد عليها الجيش الاشوري في حروبه أثناء مرحلة تثبيت اركان الامبراطورية الاشورية . واذا حاول المؤرخ أن يجد التفسير لهذه الظاهرة المميزة للشعب الاشوري وللحكومة الآشورية فربما يكون ذلك التفسير متصلا بنشأتها الاولى . فقد قامت آشور في المنطقة الواقعة شمال شرق العراق وهي المنطقة الجبلية والتي سبق أن تدفقت فيها وبجوارها عدة شعوب جبلية مثل العناصر الجوتية والعناصر الكاشية هذا بجانب مرور عدة عناصر هندية أوربية مثل العناصر الحورية والعناصر السومرية خلالها مما نتج عنه ضرورة احتفاظ الآشوريين بمركزهم في هذه المنطقة الجبلية وضرورة استعدادهم الحربي لمواجهة هذه التحركات البشرية المستمرة خلال هذه المنطقة الجبلية كل ذلك قد خلق فيهم طبيعة حربية على مر الزمن كنتيجة لتجاربهم وصراعهم المستمر مع العناصر المجاورة وكان ذلك من الدوافع التي ميزت هذا العنصر الاشوري السامي من نواحي انتاجه المختلفة عن العنصر البابلي السامي القاطن في جنوب بلاد الرافدين . وقد انعكست هذه الطبيعة العسكرية في انتاجهم الفني الى حد كبير وليس معنى ذلك اقتصارهم على هذا النوع من الانتاج بل هناك انتاجهم الادبي والفني المسالم . ويمكن للمؤرخ تتبع بعض الامثلة من الانتاج الاشوري المعماري في آثارهم التي تركوها في مواضع الامبراطورية الآشورية وخاصة في آشور ونينوى وخورساباد . وهذه المدينة الاخيرة هي عاصمة الامبراطورية الاشورية الاخيرة في عهد الملك سرجون الثاني ولذلك أطلق عليها أيضا اسم دورشاروكين نسبة الى الملك شاروكين الثاني أو سرجون الثاني ، وقد دلت الحفائر على العثور على بقايا القصر والقلعة والمدينة البوابة[٤] في هذه العاصمة الاشورية . ويدل ارتباط القلعة بالمدينة على اهتمامهم بالناحية الحربية . هذا وقد ترك الاشوريون عدة أمثلة من النحت المستدير والنحت على الحائط للملوك الاشوريين والمواقع الحربية المختلفة التي خاضوها وكذا لنشاط الملوك الشخصي المعبر عن شجاعتهم مثل مناظر صيدهم للاسود وقتلهم لهم[٤٢] مثل منظر الملك اشوربانيبال وهو يصطاد الاسود[٤٣].

وكما سبقت الاشارة لم يقتصر الانتاج الاشوري على الناحية الحربية بل لقد خلد الملك الاشوري أشور بانيبال انتاج امبراطوريته بآثاره الخالدة وهو المكتبة الملكية العظيمة في

محمد نابو في مدينة نينوى . ومن أعماله الخالدة أنه أرسل عدد من المبعوثين الى بـــــلاد الشرق الادنى القديم لجمع وترجمة المجهودات الادبية التي قدمتها دول هذه المنطقـــــة وترك هذا الملك هذه الآثار العلمية الخالدة المكتوبة على اللوحات الطينية بالخط المسمـارى في كافة النواحى العلمية والتاريخية والدينية والادبية . وقد قدم الاشوريون تراثا خالــــدا في ميدان تطور العلم (١).

الدولة البابليـــة الكلدانيـــة :

سبقت الاشارة الى انتهاز البابليين فرصة ضعف حكام آشور في الشمال وبدأوا فـــي تجميع قواهم وبالتالي تحرير بلادهم من النفوذ الاشورى وكان ذلك في عهد الملك البابلـــي الكلدانى نابوبولسر ملك بابل الذى حكم من سنة ٦٢٥ الى ٦٠٥ ق.م. وقد بدأ هــــذا الملك عهدا جديدا في تاريخ العراق القديم هو عهد الدولة البابلية الكلدانية وكان أول واجب واجه هذا الملك هو ضرورة القضاء على النفوذ الاشورى في شمال العراق حتى يتمكن من التحكم في العراق كله وبذلك يؤمن حدوده الشمالية وهى المنطقة التي سبقت أن هاجمت جنــــوب العراق في العهود السابقة . ونجح نابوبولسر في احتلال العاصمة الاشورية نينوى ســـنة ٦١٢ ق.م . ويعتبر سقوط نينوى من أهم الاحداث التاريخية في ذلك الوقت لانه يعتبر انتهاء للعظمة الاشورية والنفوذ الذى لمسته شعوب ودول منطقة الشرق الادنى القديم . ولـــــم يقتصر الامر على البابليين الكلدانيين في احتلالهم لنينوى بل اشترك معهم الميديــــون والكاشيون وقد قسم البابليون الكلدانيون والميديون والسكاثيون التركة الاشورية بينهم واستولى الميديون على المقاطعات الواقعة شرق وشمال نهر دجلة وكان نصيب الملك البابلى الغـــرب والجنوب . وبدأ البابليون الكلدانيون في احتلال مكان الصدارة في العراق القديم وبالتالــي تكوين الامبراطورية البابلية الكلدانية وخاصة في عهد الملك الكلدانى نابوخذ نصر الثانـــي الذى حكم من سنة ٦٠٤ الى ٥٦٢ ق.م . وقد واجهت هذه الامبراطورية بعض المشاكل فـــي مراحل تكوينها ومما يسترعى انتباه المؤرخ محاولة المصريين في عهد نكاو من ملوك الاســـرة السادسة والعشرين المصرية الذى حكم من ٦٠٩ الى ٥٩٤ ق.م . الوقوف في وجه التقــــدم البابلى الكلدانى واتجه شمالا نحو الفرات ولكن نبوبولسر أرسل ابنه الامير نبوخذ نصر الثانى وهـزم

نكاو في موقعة قرقميش وتبعه الامير البابلي حتى حدود مصر ولكنه علم بوفاة والده نبوبولاصر فاضطر للعودة الى بلاده لتولي عرش الامبراطورية الكلدانية ونجح نبوخذ نصر الثاني في تثبيت أركان الامبراطورية الكلدانية وهاجم مملكة يهوذا وتمكن من احتلال وتدمير بيت المقدس وسجلت ذلك نصوص العهد القديم ومما يسترعي الانتباه أن نصوص نبوخذ نصر لم تذكر شيئاً عن تدميره لبيت المقدس بل تذكر انتصاراته الحربية . وقد خلد هذا الملك البابلي ذكراه بتزيين مدينة بابل العاصمة الكلدانية ومن آثاره الخالدة ماسميت بالحدائق المعلقة التي اعتبرت من عجائب الدنيا السبع وهي عبارة عن مجموعة من الحدائق . وهذه الحدائق أنشأها نبوخذ نصر على أسطح قصره في مدينة بابل وذلك لتعويض زوجته الميدية مناظر الغابات المرتفعة التي تعتبر من المناظر الطبيعية في البيئة الايرانية . ومن أعماله الخالدة اعادة بنائه الزقورات في منطقة المعبد في بابل . وقد امتاز الملك نبوخذ نصر الثاني بأعماله السلمية بجانب نشاطه الحربي .

ولكن الدولة البابلية الكلدانية لم تتمكن من المواظبة على الاحتفاظ بكيانها وذلك بسبب ظهور قوى فتية جديدة على مسرح السياسة في منطقة غربي آسيا وهذه القوى هي الدولة الفارسية الاخمينية وفي عهد الملك البابلي الكلداني نابونيد (من ٥٥٥ الى ٥٣٨) نجح الفرس تحت قيادة قورش الثاني من انهاء الدولة الكلدانية ودخل قورش الثاني في ١٣ اكتوبر ٥٣٩ مدينة بابل واعتبر ذلك انهاء لعظمة الدولة البابلية الكلدانية وبداية عهد جديد في تاريخ الشرق الادنى القديم وهو العصر الفارسي الاخميني .

ويمكننا استخلاص ان تاريخ بلاد الرافدين اي حضارات منطقة ما بين النهرين يعود لبدايات البشرية التي استطاعت ان تشكل الاحداث الاسس الحضارية والتي سارت بها الى ... المميزة التي تميزها الثابتة في الفكر الحضاري العراق القديم التي سعت بالانسانية الى نماذج من حضارات تلك العصور.

والتي تستمد تصعد من الاكتشافات والبحث عن الحقيقة في مجال الاساطير والتخيل وتكمن ما لاستدلال من ان بلاد الرافدين قد قدمت العديد من الاستدلالات الحضارية والتي سعت بالانسانية الى العصور منذ ذكاء [illegible] لتاريخ وحضارة اللغة العريقة في تاريخ وحضارات منطقة الشرق الادنى القديم .

دراسة النواحي الاقتصادية والبشرية والسياسية في الاقليم السوري في أثناء العصر التاريخي

الاقتصادية :

تعتبر هذه الناحية من أهم النواحي المرتبطة بتاريخ وحضارة الاقليم السوري منذ عصور ماقبل الاسرات وأثناء العصر التاريخي . بل ان الحقيقة أن معرفة المؤرخ بتفاصيل السياسية سواء أكان ذلك في حكومات مدن الاقليم السوري أو ممالكه الصغيرة مرتبطة بالنسبة للناحية الاقتصادية التي عثر العلماء على عدد كبير من الادلة الاثرية التي تثبت وكثرت مظاهر انتاجها ـ وأول ظاهرة تلفت نظر الدارس في هذه الناحية الاقتصادية عمليات تصدير واستيراد أو بالاحرى عمليات تجارية على نطاق واسع مع الدول المجاورة ميزوبوتاميا وفلسطين ومصر وقبرص . فبمجرد نمو المجتمعات في هذه البيئات واستنفاد امكانيات المحلية ووجود حاجة ماسة الى مواد غير متوفرة في المجال المحلي اتجه الانسان في المجتمعات الى المجتمعات الخارجية باحثا عن المواد اللازمة لعملياته الانشائية والمعيشية .

وأول مادة سورية كانت تعتبر بمثابة دعامة هامة في الاقتصاد في ذلك الوقت هو الخشب . لجأ المصريون الى سوريا طلبا في استيراد الخشب السوري اللازم لكافة الانشاءات المصرية الخاصة والعامة . وكذلك لجأت ميزوبوتاميا الى استيفاء حاجتها من هذا الخشب السوري أيضا . وليس معنى استيراد هذا الخشب السوري هو مجرد الحصول عليه في الحقيقة هناك مغزى كبير لهذه العمليات التجارية في ذلك الوقت هذا المغزى هو اطلاع كل من المصريين والميزوبوتاميين والسوريين على عدد من التقاليد والعادات وغيرها من مقومات حضارات مصر والعراق وسوريا واطلاعهم جميعا بصورة طبيعية على الطرف الآخر مما يوسع دائرة تفكيرهم ويجعلهم على استعداد لاستعارة بعض النظم الصالحة لبيئتهم المحلية . هذه الحقيقة تعتبر مظهرا من المظاهر الدولية في المجال الدولي في ذلك الوقت المبكر من فجر العصر التاريخي . وقد ساعد على ذلك استمرار الصلات التجارية بين هذه المجتمعات المختلفة سالفة الذكر .

ولم تقتصر الصلات التجارية بين مصر بصفة خاصة وبين سوريا على استيراد الخشب الى مصر بل هناك أيضا عدد من الادلة الاثرية التي تثبت استيراد المصريين لمختلف الزيوت والاواني الفخارية وغيرها من المجتمعات السورية . ومما يستلفت انتباه الدارس

هذه الادلة الاثرية لم تكن في محيط الآثار الملكية فحسب بل استخدمها فعلا الافـــراد العاديين مثل الطبقة الوسطى في المجتمع المصري ، فقد عثر في مقابرهم على بعض هـــذه المفردات السورية ٠

ومن أهم المقابر التى عثر فيها على هذه الآثار مقبرة الملك (جـــر) في أبيـــدوس وكذلك بعض مقابر الاسرة الاولى في سقارة وابو رواش غرب القاهرة ٠ ومن مميزات الاوانـــي الفخارية السورية التى عثر عليها ضمن الآثار المصرية أن بعضها يتميز بكونه ملونا ويحمـــل رسوما هندسية مثل الآنية الفخارية المقابلة[1]٠

وقد استمر هذا النشاط الاقتصادى منذ نهاية عصور ماقبـــل الاسرات وأثناء العصر التاريخي وبصفة خاصة أثناء الاسرة الاولـــى المصرية ، وتجدر الاشارة هنا الى أن هذه المرحلة في تاريخ مصـــر الفرعونية هي في الحقيقة مرحلة تكوين وانشاء المدينة المصريـــة وعندما تكونت هذه المدينة في صورتها المصرية الكاملة بدأت تعتمـــد اكثر على امكانياتها المحلية الصرفة وماتحتاج اليه من المجتمعـــات الخارجية ولكن بدرجة تقل عن فترة مرحلة التكوين ٠

وهناك ملاحظة هامة وهى أن هذه العمليات التجارية بين مصر وسوريا لم تـــكن صادرة من طرف واحد ، بل كانت متبادلة الى حد كبير فقد عثر في بيبلوس (جبيل) على شـــقفة حجرية تحمل اسم الملك خعسخـــوى Khasekhemwi هذا بجانب آثار أخـــرى مصرية عثر عليها في كل من سوريا وفلسطين مما يثبت وجود اتصال بين الطرفين وبينما لـــم يعثر على آثار مصرية حتى الوقت الحاضر في العراق القديم منتمية الى المرحلة المعروفـــة باسم عصر حضارة جمدة نصر وعصر حضارة جزيرة الاخيرة وهى المرحلة التى ظهرت فيهـــا آثار ميزوبوتامية في مصر خاصة في آثار وادى الحمامات بين قنا والقصير، وقد زادت هـــذه الصلات التجارية بين مصر من ناحية وبين سوريا من ناحية أخرى في عصور الدولـــة القديمة وسجل الملوك المصريون وخاصة سنفرو على حجر بالرمو البعثات التى أرسلها الـــى سوريا لطلب الخشب كما سجل الملك ساحورع على جدران معبده الجنائزى في أبو صير هـــذه الرحلات الى الاقليم السورى ٠

---

[1]) آنية فخارية سورية عثر عليها في المقابر الملكية بأبيدوس حفائر الاستاذ Amelineau

وفى عهد الدولة الوسطى وخاصة الاسرة ١٢ زادت الصلات التجارية بين مصر وسوريا . ويتجه بعض المؤرخين الى القول بأن النفوذ المصرى السياسى فى عهد الدولة الوسطى فى فلسطين وجنوب سوريا بصفة خاصة كان قريبا لدرجة يمكن القول بأن العلاقات السياسية المصرية السورية قد زادت فى تلك الفترة وتبعتها بطبيعة الحال توطيد الصلات الاقتصادية . وقد عثر العلماء على عدد من المنتجات المصرية بل والتماثيل المصرية المنتمية الى تلك الفترة فى كل من كريت وفلسطين وسوريا مما يؤكد مظاهر هذا الاتصال المصرى السورى ، واستمر هذا الاتصال فى عصر الانتقال الثانى فى عهد حكم الهكسوس ووصل الى قمته فى عهد الدولة المصرية الحديثة وخاصة فى عهد الاسرة الثامنة عشر بعد أن تكونت الامبراطورية المصرية الاولى فى غربى آسيا وظهر العصر الدولى فى صورته الكاملة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وانتقل عدد كبير من التجار السوريين الى الاقليم المصرى كما انتقل ايضا عدد من الصناع السوريين والفلسطينيين الى مصر وظهرت هذه النزعة الدولية فى المجال السياسى والاقتصادى والاجتماعى وخاصة فى عهد الاسرة ١٨ مما كان له أثره البالغ على الاوضاع السياسية والاجتماعية والدينية فى تلك الحقبة من تاريخ مصر الفرعونية . وفى أثناء العصر المتأخر من تاريخ مصر الفرعونية ارتبطت مصر أيضا بسوريا ارتباطا كليا فى خضم الحياة السياسية والحياة الاقتصادية ولا يمكن ان يغفل المؤرخ أحد الامثلة الخالدة المصرية الممثلة فى رحلة ون آمون لاستيراد الخشب ومغزاها السياسى والاقتصادى والدينى ثم تحالف المصريون مع السوريين فى بعض الفترات محاولين التخلص من النفوذ الاجنبى مما يؤكد تضامنهما منذ البداية ليس فقط فى المجال الاقتصادى بل أيضا فى المجال السياسى .

الناحيــة البشــرية :

ارتبطت سوريا منذ البداية بالتحركات البشرية الهائلة التى مرت بمنطقة الشرق الادنى القديم سواء كانت هذه التحركات السامية أو تحركات الشعوب الهندية الاوروبية . وحسب التحديد الزمنى الدقيق بالنسبة لهذه التحركات الاولى ولكن يغلب أن تحركات الشعوب السامية قد وصلت الى الاقليم السورى فى مراحل عصور ماقبل الاسرات فى نفس الوقت الذى انتقلت فيه الى ميزوبوتاميا وفلسطين وربما اليمن والحبشة . وقد اتجهت احدى هذه الشعب التى خرجت من نجد — على أساس أن نجد تمثل المركز الفرضى لأم هذه الشعوب السامية — فى طريقها الى الشمال الشرقى متجهة نحو العراق القديم هذه الشعبة السامية هى التى كونت العناصر الاكادية والبابلية والآشورية فيما بعد وتفرعت منها شعبة أخرى سارت بحذاء نهر الفرات متجهة نحو الاقليم السورى وهى الشعبة المعروفة بالشعبة العمورية كما اتجهت شعبة نحو الشمال الغربى وقطنت فى فلسطين وجنوب سوريا وهى

الشعبة الكنعانية وعلى ذلك يمكن القول أن العناصر الأمورية السامية الاصل كونت جـــزءا كبيرا من سكان الاقليم السورى فى البداية ولذا أطلق على هذا الاقليم اسم بلاد أمورنســـبة اليهـــــا .

أما التسمية التى ذكرتها النصوص المصرية للاقليم الشمالى السورى فهى كلمــــــة رتنو أوخورو ، أما الجزء السفلى من هذا الاقليم فقد أطلق عليه المصريون اسم جاهى .

وقد دخلت عناصر بشرية أخرى غير العناصر السامية وهى العمورية والكنعانيــــــة والفينيقية ، هذه العناصر تنتمى الى عائلة الشعوب الهندية الاوروبية وهى العناصر الحوريــة والعناصر السوبرية وكذا العناصر الحيثية . ولكن هذه التحركات الهندية الاوروبية لــــــم تظهر بصورة واضحة فى أثناء الالف الثالث بل ظهرت على نطاق واسع فى أثناء الالف الثانــــى ق.م . فى منطقة الشرق الادنى القديم متضمنة الاقليم السورى وبدأت هذه التحركات البشــرية بتحركات الشعوب المعروفة باسم الهكسوس ثم انشاء دولة ميتانى ذات العناصر الحوريـــــة والسوبرية المكونة لجزء كبير من الاقليم السورى خاصة شماله الشرقى ، وكذلك العناصر الحيثيـــة التى تمكنت من الاستقرار فى شمال سوريا وخاصة فى فترات نشر نفوذها السياسى فى هـــذه المنطقة فى عهد الدولة الحيثية الحديثة . وفى أثناء النصف الثانى من الالف الثانـــــى ق.م . اتصل المصريون بالاقليم السورى اتصالا سياسيا وحربيا واقتصاديا واجتماعيا وحضاريــا بدرجة كبيرة مما أدى الى انتقال عدد من المصريين الى هذا الاقليم السورى . وقرب نهايــة الالف الثانى ق.م . استقرت بعض شعوب البحر المنتمية الى العناصر الهنديـــــــــة الاوروبية على السواحل السورية والفلسطينية وعلى الرغم من أهمية هذه الشعوب الهنديـــــة الاوروبية ونجاحها فى الاستقرار فى أجزاء من الاقليم السورى الا أن استمرار التحـــــركات السامية الأمورية والكنعانية والفينيقية على السواحل السورية وأخيرا الآراميـــــــــة قد أعطت صفة سامية الى أجزاء كبيرة من هذا الاقليم السورى .

وقرب نهاية الالف الثانى وأثناء الالف الاول ظهرت التحركات الآرامية الســـــامية الاصل فى الاقليم السورى ، وربما يمكن القول أن الاصل فى تسمية هذه الشعوب بالشـــعوب الآرامية نسبة الى أرض آرام الكائنة فى شمال شرق سوريا وقد أطلق الاشوريون هذه التسمية عليهم ولو أنه يمكن ارجاع هذه التسمية الى عهد الملك الاكادى نارام سن (1) ، ومما يجـــدر

---

(1) R.A. Bowman, "Arameans, Aramaic, and the Bible," J.N.E.S., April, 1948, P.66 n.5.

بالذكر أنه يوجد بعض المؤرخين من يعتبر الآراميين عربا وذلك لان أسماء القبائل الآرامية أسماء عربية صرفة ، والحقيقة أن العرب بدأوا في الاستقرار بالاقليم السوري ضمن العناصر السامية ولو أنه تحركاتهم الى هذا الاقليم قد زادت في العصور التالية ٠

الناحية السياسية :

أول ظاهرة هامة في هذه الناحية هي عدم توصل سوريا الى تكوين دولة سياسية تتضمن حدودها الطبيعية تقف على قدميها بجانب دول الشرق الادنى القديم مثل سومر وأكاد وبابل وآشور والدولة الحيثية ، وبطبيعة الحال مصر الفرعونية ٠ ولو أن دولة ميتاني تكون جزءا من شمال شرقي سوريا الا أنها كانت لها طبيعتها وظروفها السياسية الخاصة بها في النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد ٠ وليس معنى عدم وجود دولة سياسية موحدة في الاقليم السوري هو عدم وجود نظم سياسية على الاطلاق بل لقد كانت هناك عدة حكومات مدن ناجحة ، وكذلك كانت هناك عدة ممالك صغيرة ذات كيان سياسي وحضاري ارتبط — تبعا — بمجرى السياسة الدولية في منطقة الشرق الادنى القديم ٠ ومن أهم حكومات المدن السورية حكومات مدن أركاريت (رأس شمرا) والالاخ وحلب ودمشق وحماه وماري وغيرها من حكومات المدن السورية ، ومن أهم الممالك السورية التى تعتبر نموا طبيعيا لحكومات المدن مملكة العمق amoq بظروفها السياسية المختلفة ومملكة دمشق ومملكة ماري ٠ وقد حاول المؤرخون تسجيل تاريخ حكومات المدن السورية ومعرفة انتاجها الحضاري وعلاقاتها بالقوى السياسية المجاورة ولاتزال مجهودات المؤرخين في هذا الموضوع مجال البحث لان ذلك يعتمد اعتمادا كبيرا على نتائج الحفائر الكثيرة التى تتطلبها الدراسات في هذا الاقليم السوري ٠ ومن أهم المناطق التى قام العلماء بالحفر فيها وأمكن تسجيل تاريخها السياسي منطقة العمق وخاصة في تل عطشانة والالاخ وغيرها من تلال المنطقة ٠

حاولت حكومات المدن في الاقليم السوري الوقوف على قدميها كمدن مستقلة مكونة ممالك محدودة ابتداء من أوائل الالف الثالث ق ٠م ٠ وكذلك الالفين الثاني والاول ق ٠م ٠ ولكن الظروف السياسية في منطقة الشرق الادنى القديم سواء كانت في العراق القديم أو الاناضول أو مصر الفرعونية قد أثرت تأثيرا كبيرا في كيان حكومات المدن والممالك السورية ٠ فكما تأثرت هذه المجتمعات السورية بالحضارات القائمة في المناطق المجاورة بالاضافة الى احتفاظها بشخصيتها المحلية كذلك تأثرت بالاوضاع السياسية المتاخمة لها ، ولم تستطع هذه الممالك وحكومات المدن السورية الوقوف على قدميها بصورة مستقلة تماما الا في فترات ضعف شأن الحكومات القائمة في الاقاليم المتاخمة لها ٠

ففي عصر فجر الاسرات السومرية كانت هذه الحكومات السورية ذات كيان مستقل في غالبية الاحيان ولكن عندما تمكن سرجون الاكادي من تدعيم قوات الدولة الاكادية سرعان ما انتشر نفوذه في الاقليم السوري وبهذه الطريقة فقدت هذه المدن السورية استقلالها السياسي . ومما يذكر أنه في عهد الملك جوديا اتجه السومريون أيضا نحو استغلال الغابات السورية لتوفير المواد الخشبية اللازمة للمعابد السومرية ، وكان السومريون والاكاديون يفخرون بتوسعاتهم وينشر نفوذهم في الاقليم السوري . وفي عهد الاسرة الثانية عشر المصرية زاد الاتصال المصري بالاقليم السوري. قد عثر على عدد كبير من الآثار المصرية خاصة في منطقة أوكاريت السورية ومن أهم هذه الآثار عدد من الجعارين المنتمية الى الملك سنوسرت الاول ، وسنوسرت الثاني ، وفي بداية الالف الثاني ق.م . نجحت المملكة السورية المعروفة باسم مملكة يامحاد في الظهور كمملكة مستقلة ذات كيان سياسي وحضاري خاص وهذه المملكة تقع شرق منطقة الحمق وعاصمتها حلب ومن أهم ملوكها الملك حامورابي السوري وهو غير حامورابي البابلي المعروف ، كما كانت هناك أيضا حكومة مدنية الالاخ التي تتحكم في مدينة الحمق ، ومما يستحق الذكر أن آثار هذه الممالك في الاقليم السوري في ذلك الوقت تظهر الطبقة السابعة من تلال هذا الاقليم ومن أهم آثار هذه الطبقة اللوحات الطينية التي وجدت لاول مرة في الاقليم السوري مكتوبة بالخط المسماري ومن أهم هذه اللوحات لوحة من ماري عبارة عن تقرير مقدم الى الملك (زمريلم) حاكم مدينة ماري السورية تقول هذه اللوحة أن هناك خمسة عشرة ملكا يميلون الى تأييد الملك حامورابي مالنبابل، كما أن هناك عشرة أو خمسة عشرة ملكا آخرين يميلون الى تأييد ملك لارسا ريمسن ، كما يوجد أيضا عشرون ملكا يميلون الى يارلم ملك يامحاد (١). من ذلك يتبين مدى الانشقاق الموجود بين حكام حكومات المدن في ذلك الوقت ويستمر هذا التفكك السياسي واضحا .

وفي صميم الالف الثاني ق.م . يرتبط تاريخ سوريا ارتباطا كليا بمجريات الامور في منطقة الشرق الادنى القديم من كافة النواحي الاقتصادية والسياسية والحربية وخاصة في النصف الثاني من الالف الثاني ق.م . وقبل تتبع هذه الحقيقة تجدر الاشارة الى النصف الاول من الالف الثاني حيث سادت الاسرة البابلية الاولى في العراق القديم ووصل مدى نفوذها الى الاقليم السوري وسرعان ما انتهت هذه الدولة بعد تغلغل العناصر الكاشية المحتمل انتماؤها الى عائلة الشعوب الهندية الاوربية والمعاصرة لعدد من تحركات هذه الشعوب مثل الهكسوس وقد مر الهكسوس في طريقهم الى مصر بالاقليم السوري وفلسطين واختلطوا بالعناصر السامية

---

(١) L. Wolly, Ibid., P. 67.

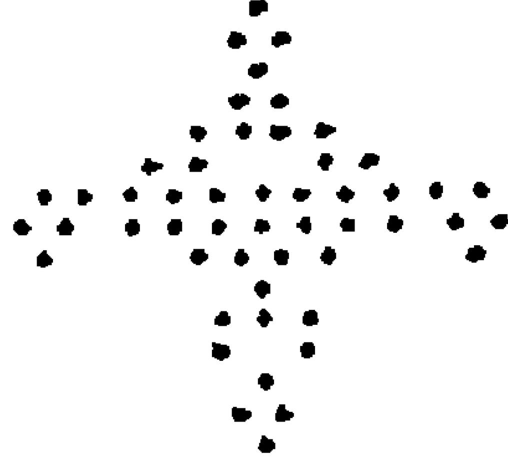
فى هذين الاقليمين وأخيرا نجحوا لحد ما فى تكوين ما يمكن تسميته بدولة الهكسوس تتضمن سوريا وفلسطين ومصر حتى أواسط الصعيد .

ولكن فى النصف الثانى من الالف الثانى ق.م . ظهرت الاتجاهات الدولية فى تسيير مجرى الامور السياسية فى منطقة الشرق الادنى القديم ونشأت دولة ميتانى والدولة الحيثية الحديثة وبدأت الدولة الآشورية فى التكوين ونجحت مصر فى تكوين امبراطوريتها الاولى وكانت سوريا هى مكان التقاء هذه القوى الدولية بينما حاول الآشوريون التوسع نحو الغرب وقف فى وجوههم كل من الحيثيين وميتانى وحاول الحيثيون من ناحية أخرى التوسع نحو الجنوب ووقف فى وجوههم المصريون الذين وصل نفوذهم حتى نهر الفرات فى احدى عملياتهم الحربية فى عصر تحوتمس الثالث (انظر الخريطة الموضحة لمدى ما وصل اليه النفوذ المصرى فى الاقليم السورى) . وكانت سوريا مجال تنافس بين هذه القوى الدولية المختلفة ويظهر ذلك أيضا فى عصر تل العمارنة من النواحى السياسية والدينية وتغلغل النفوذ الحيثى فى الشمال بعد انتهاء دولة ميتانى وبعد توقيع معاهدة التحالف والصداقة بين المصريين والحيثيين ورضاء الحيثيين بنفوذهم فى الشمال واحتفاظ المصريين بالجزء الجنوبى . ولكن هذه المظاهر السياسية قد تغيرت بتحركات شعوب هندية أوربية جديدة هى شعوب البحر الابيض المتوسط على سواحل البحر الابيض الشرقية ونجحت فى انهاء النفوذ الحيثى . وماكادت سوريا تسلم من الحيثيين والميتانيين حتى بدأت القوة الآشورية فى الظهور أثناء الالف الاول ق.م . وكانت سوريا من المناطق الهامة الداخلة فى نطاق الامبراطورية الآشورية والامبراطورية البابلية الكلدانية . وقد حاولت حكومات المدن السورية الدخول فى حلف مع مصر وليديا وغيرها ضد النفوذ البابلى الكلدانى ولكن هذه الاحلاف الدفاعية السورية والمصرية لم تكن من القوة الكافية للوقوف أمام القوى الميزوبوتامية فسرعان ما انتهت الدولة البابلية الكلدانية ودخل الشرق الادنى القديم متضمنا سوريا تحت النفوذ الفارسى الاخمينى ثم اليونانى والرومانى الى أن تمكن العرب من استعادة نفوذهم الاصيل فى المنطقة . ولابد من الاشارة الى المكانة السياسية التى نجح الفينيقيون فى اقامتها فى أنحاء غربى البحر الابيض المتوسط ، وأيضا الى توصلهم الى مرحلة متقدمة فى تطور الكتابة هى مرحلة الحروف الابجدية ولكن لابد من الاشارة هنا الى مجهود المصريين فى المرحلة المعروفة باسم ماقبيل السينائية قبل الفينيقية الابجدية .

المظهر الدولـــــــــي :

هذا المظهر الدولي كما سبقت الاشارة اليه يظهر واضحا منذ نهاية عصور ماقبـــــل الاسرات وأثناء العصر التاريخي في مجال الصلات الاقتصادية والصلات السياسية المــــــــتي ربطت سوريا بالتطورات المختلفة التي ظهرت في منطقة الشرق الادنى القديم ، وقد ســــبقت الاشارة الى بعضها في الكلام عن الناحيتين السياسية والاقتصادية ويجدر القول هنـــــــــا الى ناحية أخرى لها طبيعتها الدولية هذه الناحية هي الناحية اللغوية فبينما تمكنـــــــــت مدينة اوكاريت من عمل كتابة خاصة بها نابعة من الخط المسماري الا انه في أثناء الالـــــــف الاول ق٠م٠ ظهرت لغة وكتابة جديدة هي اللغة الارامية اتخذت كلغة دولية في كافـــــــــة مناطق الشرق الادنى القديم أثناء الالف الاول ق٠م٠ وهذه الحقيقة لها أهميتها البالغـــة لانها تضيف صفة دولية للاقاليم السوري في الناحية اللغوية بجانب النواحي السياســـــــــية والاقتصاديـــــة ٠

من ذلك كله يتبين أن سوريا جزء لايتجزأ من وحدة مرتبطة تمام الارتباط هـــــــي ... الادنى ، مرتبطة منذ البداية قبل العصر التاريخي واثنائه على مختلف العصور والازمنـــة حتى الوقت الحاضر حيث رجعت الامور الى اصولها بتحقيق الوحدة العربية في صورتهــــــا الحقيقية في جمهوريتها العربية المتحدة ٠



من ذلك كله يتبين أن منطقة الشرق الادنى القديم قد قدمت عددا من العناصر الحضارية القيمة للانسانية في مراحل تطورها التاريخي والحضاري منذ الثورة الصناعية الاولى (العصر الحجري الحديث) حتى نهاية الامبراطورية الفارسية الاخمينية ، وذلك في كافة نواحي المجال المادي والمعنوي . ومن أهم هذه العناصر الحضارية التي قدمها الشرق الادنى القديم قبل العالم الكلاسيكي بعدة قرون مبادىء الديمقراطية البدائية السومرية واللغة المصرية المكتوبة بالخط الهيروغليفي واللغات السومرية والاكادية بالخط المسماري بل التوصل الى مرحلة الكتابة الممهدة للحروف الابجدية وهي الكتابة المعروفة باسم ماقبيل السينائية وبالتالي الكتابة الابجدية الفينيقية ثم اليونانية .

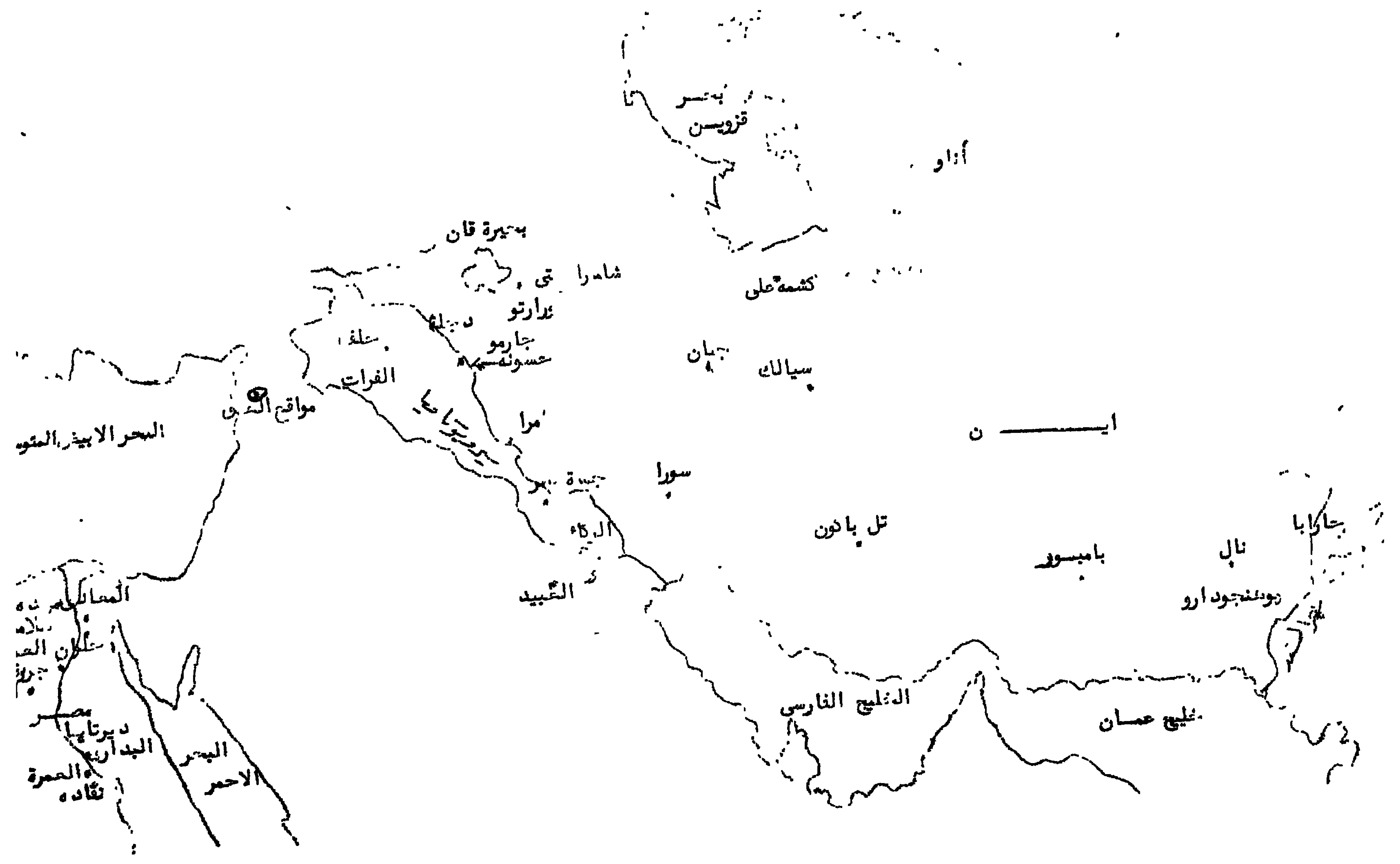
هذا بالاضافة الى الانتاج الادبي والديني والفلسفي الرائع في كافة آثار مصر والعراق وايران والاناضول والاقليم السوري وفلسطين وقد وصل مدى التطور العقيدي الى قيمته في التوصل الى قيم عالية نحو الوحدانية في مصر الفرعونية في عصر اخناتون والى الوحدانية الكاملة في الديانة اليهودية فالمسيحية والاسلام .

هذا بالاضافة الى التطورات (١) العلمية الكثيرة التي قدمتها دول هذه المنطقة في كافة العلوم الطبيعية والرياضية والاجتماعية والانسانية وهناك أيضا الانتاج المادي في كافة مظاهره المعمارية والنحت والرسم والتصوير بجانب الفنون الصغرى المختلفة مما يؤكد مدى التحكم في امكانيات المواد الطبيعية المختلفة واستخدامها في التعبير عن مبادئهم وقيمهم وفلسفتهم مما يجعل تراث هذه المنطقة خالدا في سجل حياة الانسان .

R. Turner, The Great Cultural Traditions, vol. I, New York and London, 1941, P. 257 FF. (1)

جدول تقويمي علم مقارن لحضارات العصر الحجري الحديث وعصر استخدام النحاس والحجر وعصور ما قبل وقبيل الاسرات في بعض مناطق الشرق الادنى القديم

الزمن	اسم العصر الحضاري	مصر السفلى	مصر العليا	جنوب ميزوبوتاميا	شمال ميزوبوتاميا	الاقليم السوري	ايران
حوالي ٥٠٠٠ ق.م.	العصر الحجري الحديث	عصر حضارة الفيوم (أ) عصر حضارة مرمدة بني سلامه			عصر حضارة جارمو	عصر حضارة ٨ العمق أ	عصر حضارة سيالك I وعصر حضارة باكون ب I
		عصر حضارة حلوان العمري	عصر حضارة دير تاسا		عصر حضارة تل حسونه		
						عصر حضارة ٨ العمق ب	
حوالي ٤٥٠٠ ق.م.	عصر استخدام الحجر والنحاس	عصر حضارة الفيوم (ب)	عصر حضارة البداري			عصر حضارة ٨ العمق ج	عصر حضارة سيالك II عصر حضارة باكون ب II
حوالي ٤١٠٠ ق.م.					عصر حضارة حلف		
حوالي ٤٠٠٠ ق.م. حوالي ٣٩٠٠ ق.م.	عصر ما قبل الاسرات الاول (من حوالي ٤٠٠٠ الى ٣٦٠٠ ق.م.)	عصر حضارة جرزة الاولى	عصر حضارة العمره	عصر حضارة العبيد الجنوبية	عصر حضارة العبيد الشمالية	عصر حضارة العمق د	عصر حضارة سيالك عصر حضارة باكون أ I
حوالي ٣٦٠٠ ق.م. حوالي ٣٥٠٠ ق.م. حوالي ٣٤٠٠ ق.م.	عصر ما قبل الاسرات الاوسط (من حوالي ٣٦٠٠ الى ٣٤٠٠ ق.م.)	عصر حضارة جرزة الاوسط عصر حضارة المعادى	عصر حضارة العمرة * عصر حضارة جرزة الاوسط	عصر ما قبل الكتابة (أ، ب) عصر حضارة الوركاء* عصر ما قبل الكتابة (جـ، د)		عصر حضارة العمق هـ	
حوالي ٣٠٠٠ ق.م.	عصر ما قبل الاسرات الاخير (من حوالي ٣٤٠٠ الى ٣٢٠٠ ق.م.)	عصر حضارة جرزه الاخيرة مملكتي الدلتا والصعيد الاسرة المصرية الاولى (الدولة المصرية الموحدة)		عصر حضارة جمدة نصر عصر فجر الاسرات		عصر حضارة العمق و عصر حضارة العمق ز	



قزوين
أ ا و
بحيرة فان
شا مدرا
ارارتو
جارمو
كشمه على
سيالك
ايــــــــــــــــــــــران
الفرات
مواقع النطوف
البحر الابيض المتوسط
مرا
سورا
تل باكون
تال
بامبسور
موهنجودارو
الخليج الفارسي
خليج عمان
العبيد
البحر الاحمر
البدارية
مصر
نقاده

طبعت

بالمكتب المصرى الحديث
للآلات الكاتبة

طبع - نسخ - تعليم
٧ شارع نوبار (المنشية)
وشارع صفيه زغلول (أمام سينما مترو)
تليفون ٢٦٦٠٢

